المكتشفون والمستكشفون

رجال اكتشفوا حضارات العالم المجهول

المكتشفون والمستكشفون

رجال اكتشفوا حضارات العالم المجهول

تأليف

إدوارد ريتشارد شو

ترجمة

حسين حمد حسين الفقيه

قنديل | Qindeel

Discoverers and Explorers

Edward R. Shaw

المكتشفون المستكشفون

رجال اكتشفوا حضارات العالم المجهول

تأليف: **إدوارد ريتشارد شو**

ترجمة: **حسين حمد حسين الفقيه**

© 2017 Qindeel printing, publishing & distribution

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو نقله على أي نحو، و بأي طريقة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم خلاف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة مقدماً.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

موافقة « **المجلس الوطني للإعلام**» في دولة الإمارات العربية المتحدة
رقم: 193464 تاريخ 2017/4/3

ISBN: 978 - 9948 - 23 - 571 - 2

قنديل | Qindeel

للطباعة والنشر والتوزيع

Printing, publishing & Distribution

ص. ب: 47417 شارع الشيخ زايد

دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: info@qindeel.ae

الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

© **جميع الحقوق محفوظة للناشر** 2017

الطبعة الأولى: نيسان / ابريل 2017 م – 1438 هـ

الإهداء

إلى روح أخي عيسى الفقيه

«رحمه الله»

نبذة عن المؤلف

البروفيسور إدوارد ريتشارد شو EDWARD.R.SHAW (1855ـ1903م) أستاذ وعميد جامعة نيويورك، ومؤلف العديد من الكتب، قام في المقام الأول بتأليف العديد من الكتب المدرسية للطلاب.

ولد البروفيسور إدوارد شو في عام (1855 م) في بيلبورت، نيويورك (جزء من لونغ آيلاند). كان عمله في المرحلة الجامعية في كلية لافاييت، وحصل على الدكتوراه من جامعة نيويورك. بعد أن شغل منصب مدير في قرية (سيفيللي) Sayville، غرينبورت، مقاطعة سوفولك، نيويورك؛ ويونكرز (NY) المدرسة الثانوية، وأصبح أستاذ التربية في جامعة نيويورك قبل وقت وفاته، وكان عميدها.

تألفت بعض من إنتاجات شو من الأعمال العلمية المشهورة؛ للاستخدام لدى الطلاب في المدارس؛ في جميع أنحاء العالم، وتشمل مؤلفاته ما يلي:

- Shaw, Edward R. (1901). School hygiene. New York: The Macmillan Co.
- Shaw, Edward R. (1890). Development of the drama.
- Shaw, Edward R. English Composition and Practice. Holt.
- Shaw, Edward R. (1889). Inventional geometry.
- Shaw, Edward R. Physics.
- Shaw, Edward R. Geography.
- Christie, Sarah Row; Edward R. Shaw (1903). Pathways in nature and literature: A second reader. New York: University Publishing Company.

- Shaw, Edward R. (1900). Big people in other lands.
- Shaw, Edward R. (c. 1895). Legends of Fire Island Beach and the South Side. New York: Lovell, Coryell & Co.
- Sewell, Anna. Edward R. Shaw, ed. Black Beauty.

مقدمة المترجم

يُعرِّفُ الباحثون حركة الكشوف الجغرافية بأنها الرّحلات التي قام بها الأوروبيون لاكتشاف الأراضي في العالم الجديد، ترتب عنها عدة نتائج كان لها أثر كبير على الحياة الأوروبية والعالم في العصر الحديث.

خلال العُصور الوسطى كانت المعرفة الجغرافية للأوروبيين ضئيلة، لا تتعدى معرفتهم بالسواحل الشمالية لقارة أفريقيا، وسواحلها الشمالية الغربية، وغَلَبَتْ الخُرافات والأساطير على مُعتقدات الأوروبيين في ذلك الوقت، ونَسجوا الحِكايات الخرافية عن الوحوش والمخلوقات المخيفة والمسوخ التي كانت تعيش في بحر الظلمات (وهو المحيط الأطلسي)، وساد الاعتقاد بأن الأرض كانت مُنبسطة، وبحر الظلمات لا يُمكن الإبحار فيه لأنه ينتهي عند حافة الأرض، واعتقد الأوروبيون في العصور الوسطى بأن المحيط كانت تملكه الآلهة. وخرافة الصخور التي كانت تجذب مسامير السفن وتغرقها في المحيط.

هذه الخرافات وإن كانت قد أرعبت الناس في ذلك الوقت من الإبحار في المحيط؛ إلا أنها حركت حب الفضول والمغامرة لدى البعض الآخر، وشوقتهم للكشف عن هذه الحكايات الغريبة والاطلاع عليها مباشرة، وبناءً عليه قام هؤلاء المغامرون بركوب لُجج المحيطات، وتحدوا الطبيعة بكل صعوباتها، للوصول إلى غاياتهم، وتمكنوا من اكتشاف العالم الذي كان مجهولاً لديهم، ولكن يبقى لدينا الدوافع التي تسببت في هذه الرحلات الخطيرة، ويمكننا أن نوجزها في عدة محاور؛ أولها الدافع الاقتصادي وهو الطمع في ثروات الهنود البسطاء من الذهب

والفضة وغيرها، والاستيلاء عليها ونقلها لأوروبا، وهي السبب في ثراء بعض الدول الأوروبية، وكذلك الاستيلاء على الأراضي المكتشفة وإعلانها باسم الدولة التي اكتشفتها، والثاني هو الدافع الديني وهو رغبة رجال الدين الأوروبيين في تحويل الشعوب الوثنية وغيرها للديانة النصرانية، والدافع الثالث حب المعرفة والمغامرة، وهذه الدوافع عادة ما تأتي مجتمعة.

هذه لمحة تاريخية أحببنا أن نبدأ بها مقدمتنا، أما عن الكتاب فهو أحد الإنتاجات العلمية للبروفيسور الأمريكي (إدوارد ريتشارد شو)، وهو كتاب ذو طابع منهجي قام مؤلفه بتأليفه لغرض التدريس. ويتحدث الكتاب عن ثُلّة من البحارة المستكشفين الأوائل، الذين وصلوا إلى أبعد الأماكن في رحلاتهم المحفوفة بالمخاطر، فكانت هذه الرحلات قد آتت ثمارها، وأدى ذلك إلى ظهور التنافس بين دول أوروبا في حركة الكشوف الجغرافية. وفي النهاية حصلت كل من هذه الدول المتنافسة على نصيبها من القارات التي كانت مجهولة.

حسين حمد حسين الفقيه

مقدمة المؤلف

إن بداية الممارسة للدراسة الجغرافية، تبدأ من المكان الذي يعيش فيه الطالب، ليتمكن من الحصول على أول أفكاره عن المفاهيم الجغرافية بالملاحظة الموجهة بشكل مباشر على الظروف الواقعية الموجودة عنده، ليتمسك باكتسابه العلمي بثبات والتزام خلال السنوات الأولى كوسيلة عقلانية للدخول إلى دراسة الجغرافيا.

بعد أن يكون الطالب قد أنهى الدراسة الابتدائية لموقعه المحلي، هو الآن أصبح على استعداد للعبور إلى درس أولي لدراسة العالم كَكُل، ليحصل على مفهومه الأول عن الكوكب الذي يعيش فيه. وهي معرفته عن أشكال الأرض والمياه، ومعرفته عن الأمطار والرياح، والحرارة والبرودة، كعوامل، والآثار الناتجة التي يمكن تتبعها بسهولة عن تفاعل هذه العوامل، عن طريق الملاحظة والاستدلال على الظروف الواقعية التي تكون في متناول يده، وبعبارة أخرى؛ يكتسب معرفته بأسلوب العرض.

غير أن دراسته للعالم ككل يجب أن تختلف عن ذلك إلى حد كبير، ويجب أن يتم ذلك بشكل رئيسي عن طريق التصور. ومن ثم؛ فإن تضاريس العالم؛ ستقدم له فكرته الأساسية، وجميع دراسته المستقبلية للعالم، ولكن، مع توسيع وتعديل هذه الفكرة، حتى ولو كانت مُطوَّلةً، وإذا استمرت الدراسة بشكلٍ صحيحٍ، فإن الفِكرة ستُصبح مُعقَّدة للغاية.

ومن خلال الانتقال من الجغرافية المحلية إلى جغرافية العالم ككل؛ يتعين على الطالب أن يتعامل على نطاق واسع مع كُتَلِ الأرض وخصائصها العامة. القارات

والمحيطات، وحالاتها النسبية، وشكلها، وحجمها، وعندئذٍ يكون التعامل معها، ولكن هذا التعامل يجب أن يبقى دائماً بسهولة وفي حدود القدرات النهائية للطالب، كونها مجرد وجهة نظر ابتدائية للعالم.

خلال الوقت الذي يكتسب فيه الطالب هذه المعرفة الأولية عن العالم ككل؛ قد تكون هناك حقائق معينة من التاريخ مرتبطة بالدراسة الجغرافية.

ووفقاً لهذه الخطة المقترحة سابقاً، سيتبين أن الطالب قد انتقل من دراسة مساحة محدودة من الأرض والمياه إلى فكرة اعتبار أن العالم جِسْمٌ كُرَوِي، ومع توزيعه الكبير للأرض والماء. وسرعان ما يُدرك في هذا الانتقال، كيف تشكَّلت هذه الأجزاء الصغيرة من هذا العالم المعروف لديه حتى الآن؛ من الكرة الأرضية الكبيرة نفسها.

وهناك شيء مماثل لهذا الانتقال ـ من جانب الطالب ـ إلى وجهة نظر أكبر تبدو موجودة في تاريخ الأمم الغربية لأوروبا. وهو هذا التغيّر التدريجي في فهم العالم الذي حدث خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر؛ إلى توسع مفهوم العالم باعتباره المجال الذي لفت أنظار الاكتشافات والاستكشافات في القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

ويَخْدمُ هذا التماثل بشكل تربوي، الإشارة إلى العلاقة المتبادلةِ المثيرةِ والقيِّمةِ لبعض حقائقِ التاريخِ ببعض مراحلِ الدراسةِ الجغرافية.

وقد أُعِدَّ هذا الكتاب لغرض توفير المادة لمثل هذه العلاقة المتبادلة. الخطة لهذه العلاقة المتبادلة بسيطة. كالدراسة للعالم ككل، في الأسلوب المخطّط له سابقاً، يتقدم بقراءة الفصول المناسبة، يُناقشها، يُعيد صياغتها، ويتتبع الطرق المختلفة للمكتشفين والمستكشفين. ولا توجد كلمة إضافية تبدو للكاتب ضرورية فيما يتعلق بالعلاقة المتبادلة.

ديرسدن

15 يوليو 1899م.

المحتويات

معتقدات العالم بالنسبة إلى ما قبل أربعمائة سنة..... 15

ماركو بولو..... 21

كولومبس..... 29

فاسكو دي غاما..... 41

رحلات جون و سيباستيان كابوت..... 47

أميريكو فيسبوتشي..... 51

بونسي دي ليون..... 57

بالبوا..... 59

ماجلان..... 63

هيرناندو كورتيس..... 67

فرانسيسكو بيزارو..... 75

فيرديناند دي سوتو..... 81

نهر الأمازون العظيم، والإلدورادو..... 87

فيرازانو..... 95

الرحلة البحرية المشهورة للسّير فرانسيس درايك 1577م..... 101

هنري هدسون 107
فهرس الأعلام..... 113
فهرس الأماكن 115

مُعْتَقَدَاتُ العَالَمِ مَا قَبْلَ أَرْبَعِمائةِ سَنَة

قبل أربعمائة سنة، مُعظم الناس الذين عاشوا في أوروبا ، كانوا يعتقدون أن الأرض مُسَطَّحَة. وكانوا لا يعرفون سوى الأراضي التي كانت قريبة منهم فقط. فقد عرفوا قارة أوروبا، وهي جزءٌ صغيرٌ من آسيا، والشريط الواقع على طول الشاطئ الشمالي لأفريقيا.

قد ظنوا أنه كان يُحيط بهذه الأرض المعروفة كمية هائلة من الماء الذي كان

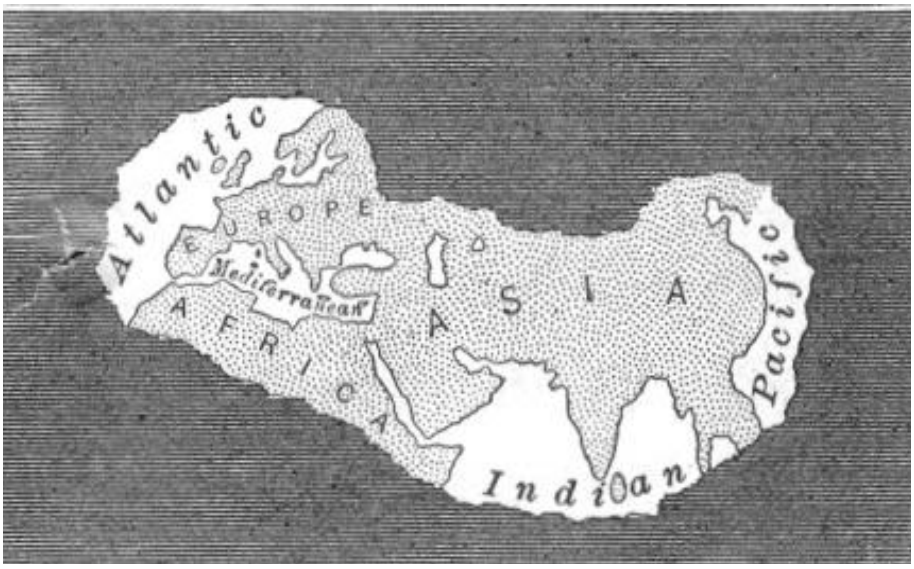

العالم كما هو معروف من أربعمائة سنة مضت

يبدو كنهرٍ واسع. وكان هؤلاء البحارة يخشون من المغامرة بعيداً على هذا الماء، لأنهم يخشون من السقوط من على حافة الأرض.

واعتقد رجال الملاحة الآخرون أنه إذا كان ينبغي لهم أن يبحروا بعيداً جداً على هذا الماء فإن سُفنهم سوف تضيع في الضباب، أو أنها سوف تبدأ فجأة بالانزلاق إلى أسفل، ولن تكون قادرة على العودة. آلهة الرياح وآلهة العواصف، أيضاً، كان يُعتقد بأنها تسكن هذا البحر الغامض. واعتقد هؤلاء الرجال أن آلهة الرياح والعواصف هذه سوف تكون غاضبةً جداً على كل من تجرأ على دخول مجالها الخاص، وأنها في ثورة غضبها؛ سوف تقوم بإلقاء السفن من على حافة الأرض، أو إبقائها تدور وتدور في دوامة، عبر السحب والضباب.

فليس من المستغرب إذاً أن أُعطي اسم «بحر الظلمات» لهذا الجسم الكبير من الماء، الذي نعرفهُ الآن باسم «المحيط الأطلسي». كما أنه ليس من المستغرب أن البحارة كانوا يخشون من المغامرة بالإبحار فيه بعيداً.

وهؤلاء البحارة لم يكن عندهم الرهبة والفزع مطلقاً من البحر المسمى بالبحر الأبيض المتوسط، الذي جعلوا رحلاتهم تقوم عليه دون الخوف من الخطر. وقد سُمي هذا البحر بالمتوسط لأنه كان من المفترض أنه يقع في وسط الأرض التي كانت معروفة آنذاك. وعلى مثل هذه الهيئة من الماء كان البحارة جريئين جداً، قتال وسرقة، ونهب الغرباء والأعداء، دون أي تفكير في الخوف.

وأبحروا من خلال هذا البحر شرقاً إلى القسطنطينية، وسفنهم تم تحميلها بالمعادن، والخشب، والزفت. تاجروا بالحرير، وقماش الكشمير، وأخشاب الصبغ، والتوابل والعطور والأحجار الكريمة والعاج واللؤلؤ. وكل هذه الأشياء كانت تُجلب بالقوافل من دول الشرق الأقصى: الهند، والصين، واليابان، إلى المدن الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

وكانت رحلات هذه القوافل طويلة جداً ومُملّة. والأسوأ من هذا، الأتراك، الذين مرت القوافل عبر بلادهم، حينما عرفوا بمدى أهمية هذه التجارة، أرسلوا عصابات من اللصوص لمنع هذه القوافل من الوصول إلى الساحل.

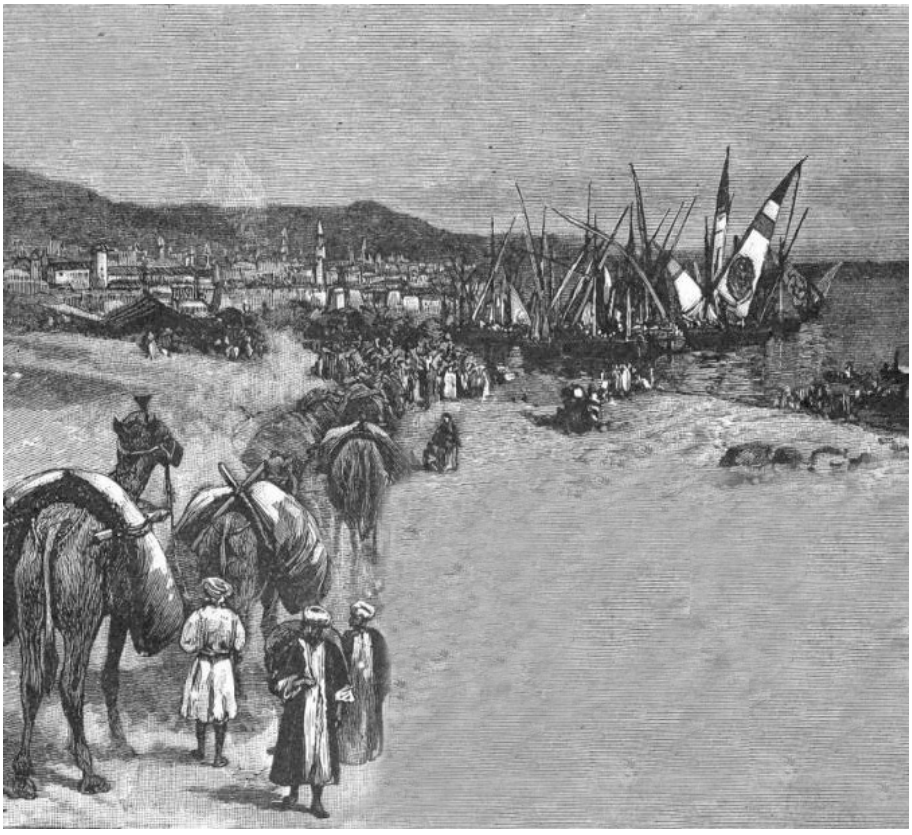

القوافل

ومع مرور الوقت، أصبحت هذه الرحلات البرية أكثر صعوبة وأكثر خطورة، حتى رأى التُّجّار أنه سيأتي قريباً اليوم الذي ستنقطع فيه تماماً حركة المرور إلى الهند ودول الشرق الغنية. وسيوفر الأتراك لأنفسهم عندئذ أعمالاً مربحة؛ لذلك حاول رجال ذلك الوقت التفكير في طريقة أخرى للوصول إلى الشرق.

ومن بين هؤلاء الذين كانوا يرغبون في العثور على الطريق القصير إلى الهند، كان الأمير (هنري Henry) البرتغالي، وهو ملّاحٌ جريءٌ، وكذلك رجل مُولعٌ بالبحث العلمي، ويتمتع بطيبة القلب. وكان يرغب في تأمين التجارة الهندية الغنية لصالح بلاده. حتى إنه أنشأ مدرسة للملّاحين في (لشبونة)، وجمع حوله العديد من الرجال الذين كانوا يرغبون في دراسة البحر.

ومن هنا فقد عملوا الخرائط والرسوم البيانية، وتحدثوا مع بعضهم البعض عن الأراضي الغريبة التي ظنوا أنه يمكنهم العثور عليها حتى الآن، في هذا الجسم الغامض من الماء الذي كان يرعبهم ويخشونه. ومن المحتمل أنهم قد سمعوا بالروايات عن بعض الرحلات من الملَّاحين الآخرين على هذا البحر الرائع، وبعض المعتقدات حول الأرض التي تكون بعده.

وكان هناك الملّاح الجريء (إيريك الأحمر red the Eric)، من (آيسلندا Iceland)، الذي كان قد أبحر غرباً إلى (غرينلاند Greenland)، وأسس هناك مستعمرة نمت وازدهـرت. وكان هناك أيضاً الشاب الفايكنغي المجازف (ليفLeif) ابن (إيريك)، الذي كان قد قام برحلة جنوباً من غرينلاند، حتى وصل إلى بلدٍ غريبٍ مع شواطيء مشجرة وكروم عطرة. هذا البلد أطلق عليه (ڤاينلاند Vinland) بسبب وفرة العنب البري به. وعندما عاد إلى غرينلاند، أخذ حمولة من هذه الأخشاب وعاد بها.

إيريك الأحمر في فاينلاند

وقد حاول بعض أهل غرينلاند إنشاء مستوطنة على طول هذا الشاطئ الذي اكتشفه (ليف)، ولكن يُعتقد أن الهنود قد قاموا بإبعادهم. ويمكن الآن القول بأن هذه المستعمرة لم يتم العثور على أثرٍ لها على الإطلاق، رغم أن الشائع أن الإسكندنافيين قد دفعوا بالعديد من الزيارات إلى الشاطئ في أمريكا الشمالية وهو الصحيح بلا شك.

وأبحر مُتجوِّل البحر الجريء الآخر من البرتغال مسافة أربعمائة ميلٍ من الأرض، حيث التقط قطعة مجدافٍ منحوتةٍ بشكل غريب وعدة قطع من الخشب من نوع لا يمكن العثور عليه في أوروبا.

إنه القديس (براندون Brandon)، قِسٌّ آيرلندي، كان مدفوعاً في عاصفةٍ، بعيداً إلى الغرب، ووقع على شاطئ بلدٍ غريبٍ، مأهول بجنسٍ من البشر لم يكن رأى مثلهم من قبل.

كل هذا الوقت والبحارة البرتغاليون الجّريئون كانوا يخاطرون أبعد وأبعد أسفل الساحل الأفريقي. كانوا يأملون في أن يكونوا قادرين على الإبحار حول تلك القارة وحتى الجانب الآخر للهند. لكنهم لم يتجرأوا على تجاوز خط الاستواء، لأنهم لا يعرفون النجوم في نصف الكرة الجنوبي، وبالتالي ليس لديهم دليل. كانوا يعتقدون أيضاً أن وراء خط الاستواء كانت هناك منطقة مخيفة تتميز بالحرارة الشديدة، حيث أحرقت أشعة الشمس القوية الأرض، وغلى من حرارتها الماء.

وقيل الكثير من القصص الرائعة عن الجزر التي قال البحارة إنهم رأوها من مسافة بعيدة. ونادراً ما تعود سفينة من رحلة بحرية؛ من دون ذكر قصص جديدة تشير إلى تلك الأراضي التي اطلع عليها الطاقم.

وذكر الناس الذين كانوا يعيشون في جزر الكناري، أن هناك جزيرة بها جبال عالية يمكن رؤيتها في اتجاه الغرب في الأيام التي يكون فيها الجو صحواً، ولكن لم يعثر عليها أحد أبداً.

واعتقد البعض أن هذه الجزر لا توجد إلا في مخيلة البحارة فقط. ورأى

آخرون أنها كانت من الجزر العائمة، وبما أنهم رأوها في كثير من الأماكن المختلفة. كان كل شخصٍ متلهفاً للعثور عليها، لأنه قيل بأنها غنية بالذهب والتوابل.

أنت الآن يمكنك أن تفهم بسهولة؛ كيف كان كثير من الناس متحمسين فيما يتعلق بالأراضي الجديدة، وكيف أنهم تمنوا استكشافها، وسواءً ما إذا كانت الأرض مستديرة أم لا. فليس هناك إلا طريقة واحدة للاستكشاف، وهي محاولة الإبحار حولها.

لفترة طويلة لم يكن أحد شجاعاً بما يكفي ليجرؤ على القيام بذلك. ليبدأ بالإبحار بعيداً عن الأرض على هذا الماء المجهول، فقد كان الناس في تلك الأيام يعتبرون تلك الرحلة الخطيرة والمتهورة؛ كمحاولة لعبور المحيط في منطاد، بالنسبة لنا في وقتنا الحاضر.

مَاركُـو بُولّـو

في منتصف القرن الثالث عشر، قبل حوالي مائتي سنة من وقت كولومبوس، صبي يُدعى (ماركو بولو Polo Marco) عاش في مدينة (ڤنيسيا Venice) (البندقية).

ماركو بولو

ينتمي ماركو بولو إلى عائلةٍ ثريةٍ ونبيلةٍ، وكان عنده جميع مزايا التعليم الذي قدمته المدينة. فقد درس في واحدة من أرقى المدارس في مدينة فينيسيا. ومن ثم اشتهرت هذه المدينة بمدارسها، وكانت مقراً للثقافة والتعلم عن العالم المعروف آنذاك.

عندما بدأ ماركو بولو بالذهاب إلى المدرسة في الصباح، هو لم يضع قدميه

في الشارع ـ كما تفعل أنت ـ فبدلاً من ذلك، خطى بقدميه من عتبة منزله في قارب يسمى الجندول. لأن فينيسيا بنيت على مجموعة من الجزر الصغيرة، والشوارع عبارة عن ممرات مائية وتسمى القنوات.

والجندولي ـ وهو اسم يطلق على الرجل الذي يجذف الجندول ـ أخذ ماركو أينما كان يرغب في الذهاب. في بعض الأحيان، كلما ينحدر قُدُماً، فإن الجندولي كان يغني الأغاني الفينيسية القديمة. واستلقى ماركو بولو مرة أخرى على الوسائد الناعمة واستمع له وبدا له بعض الفكر، وتساءل: في أي مكان آخر على وجه الأرض تكون هناك مدينة جميلة جداً كالبندقية؟. لأن سماءها كانت زرقاء جداً، وغالباً ما ينعكس لونها على المياه. وكانت المباني رشيقة وجميلة، والشمس دافئة ومشرقة، والهواء معتدلاً.

مشهد في فينيسيا

في هذه المدينةِ المبهجةِ عاشَ ماركو بولو حتى كَانَ بعمر السبعة عشرَ عاماً. في مثل هذا الوقت، والده، الذي كان يملك منزلاً تجارياً كبيراً في القسطنطينية، أخبر ماركو أنه قد يذهب معه في رحلة طويلة إلى البلدان الشرقية. الابن كان سعيداً جداً بالسفر معه، والذي تحدد سفره مع والده وعمه، اللذين كانا متلهفين على التجارة وكسب المزيد من الثروة في الشرق. وكان ذلك في العام (1271م).

سافر آل بولو الثلاثة عبر بلاد فارس متجهين إلى الصين، وعبروا صحراء جوبي إلى المنطقة الشمالية الغربية، حيث عثروا على حاكم عظيم، يدعى (قوبلاي خان). وكان هذا الملك رجلاً طيب القلب ومقتدراً. وكان يرغب في مساعدة رعاياه ليصبحوا شعباً متحضراً ومتعلماً، كما كان عليه الأوروبيون. وعليه فقد قام قوبلاي خان بمساعدة اثنين من آل بولو الكبار السن في مباشرة أعمالهم، وقام بأخذ ماركو في خدمته.

وفي الحال تعلم ماركو لغات آسيا، ومن ثم تم إرساله من قبل الخان على رأس المهمات من الدولة إلى أجزاء مختلفة من البلاد. زار جميع المدن الكبرى في الصين، وسافر إلى المناطق الداخلية من آسيا إلى أماكن مجهولة تقريباً في الوقت الحاضر.

أخيراً، أعرب آل بولو الثلاثة عن رغبتهم في العودة إلى البندقية. الخان العظيم لم يرغب بالتخلي عنهم، لكنه في النهاية وافق؛ لأنه وجد أن بذهابهم يمكن أن يقدموا له خدمة. وكانت الخدمة المطلوبة هي مرافقتهم لابنته الأميرة الشابة الجميلة التي كان من المقرر أن تؤخذ في رحلة من (بكين Peking) إلى (تبريز Tabriz)، حيث كانت مقبلة على الزواج من الخان في بلاد فارس.

وكان من الصعب العثور على أحد ما جدير بالثقة بما فيه الكفاية لتحمل المسؤولية عن رحلة خطيرة وتتطلب وقتاً طويلاً. ولكن قوبلاي خان كان يثق في آل بولو. وكانوا قد سافروا أكثر من أي شخص آخر يعرفه، وكانوا كذلك حذرين وشجعاناً.

وحتى يعطيهم الإذن بالعودة إلى وطنهم، طلب منهم أن يأخذوا الأميرة إلى تبريز في طريقهم. وتقرر أن تكون الرحلة عن طريق البحر؛ فالطريق البري كان غير آمن محاصراً من قبل اللصوص، إلى جانب ذلك، كان آل بولو بحارة مسالمين.

بدأوا رحلتهم من الساحل الشرقي للصين، واستمرت الرحلة لمدة ثلاث سنوات، حول شبه جزيرة كوشين الصين، وعَبْرَ المحيط الهندي إلى الخليج العربي. ومن هنا فقد عبروا إلى الشاطئ، وانتقلوا بعد ذلك براً عبر بلاد فارس إلى تبريز. تركوا الأميرة في تلك المدينة، واستأنفوا رحلتهم عن طريق مضيق البوسفور إلى فينيسيا.

عندما وصلوا إلى فينيسيا، وجدوا أن أصدقاءهم قد نسوهم. فقد كانوا غابوا عنهم أربعة وعشرين عاماً، وفي ذلك الوقت كان كل شيء قد تغيَّر كثيراً. وكانوا هم أنفسهم قد كبروا، واختلفت ملابسهم عن تلك التي يرتديها الفينيسيون. فالأزياء تغيرت حتى في القرن الثالث عشر، مثلما تتغير الأزياء كثيراً في وقتنا الحالي؛ فليس من المستغرب أن آل بولو لم يُعرَفوا حتى أعادوا التعريف بأنفسهم ليذكِّروا أصدقاءهم.

في إحدى الليالي قاموا بدعوة عدد قليل من أصدقائهم القُدامى لتناول طعام العشاء، وأثناء المساء أخرجوا ثلاثة معاطف قديمة. هذه المعاطف شرعوا في تمزيقها، وأخرجوا من بطاناتها كل أنواع الأحجار الكريمة، الماس، الزمرد، والياقوت. بهذه الطريقة كان هؤلاء المسافرون الحذرون قد أخفوا ثرواتهم وكنوزهم أثناء رحلتهم المحفوفة بالمخاطر. كان جمع الضيوف مندهشين من رؤية هذه الثروات الكبيرة جداً، واستمعوا بشغف إلى وصفهم للدول التي أتوا منها.

بعد وقت قصير من عودة ماركو بولو إلى فينيسيا، شرع جزء من مواطنيها في معركة ضد مدينة (جنوة Genoa). ومدينة جنوة، مثل مدينة فينيسيا، كانت لها تجارة كبيرة مع الشرق. وكانت ءاتان المدينتان خصمين في التجارة، وكانتا غيورتين جداً من بعضهما البعض. كلما التقت سفن فينيسية بتلك التي من جنوة على البحر الأبيض المتوسط، وجد بعض البحارة الذريعة لبدء الشِّجار. الشِّجار الذي أدى بسرعة إلى قتال بحري، وكان ماركو بولو قد شارك في واحدة من هذه المعارك. هُزمت البندقية،

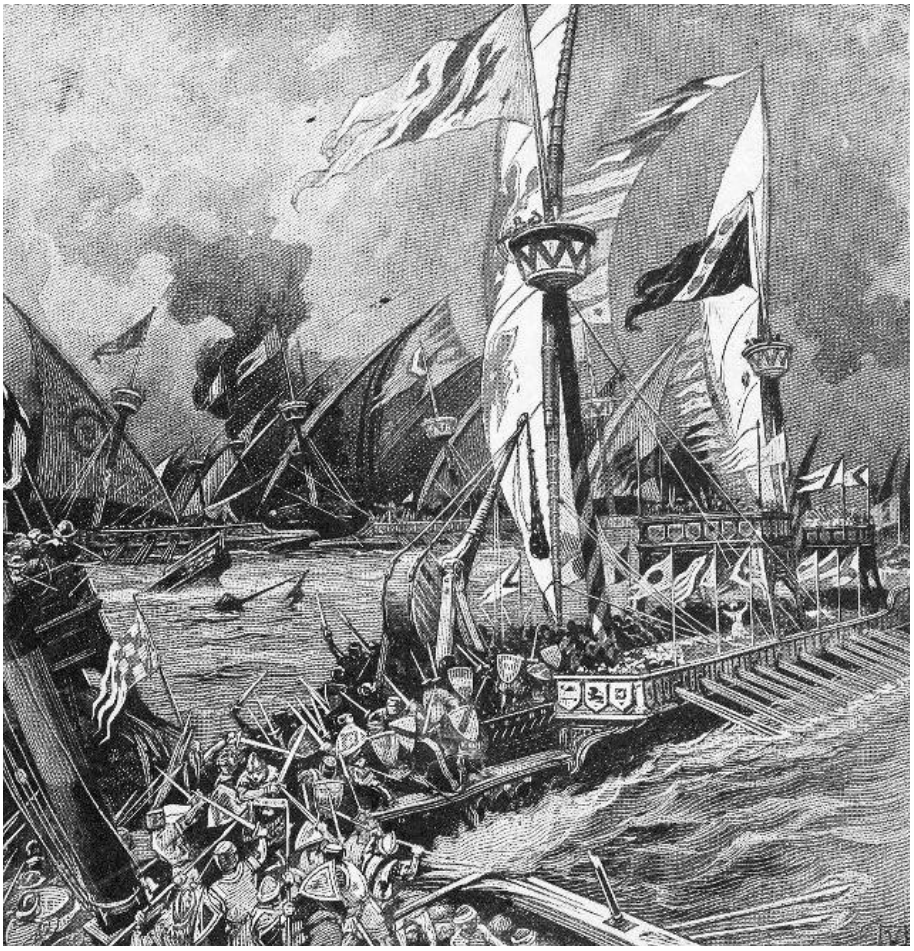

قتال بحري

وأُخذ ماركو بولو سجيناً وأُلقي في زنزانة. وهنا قضى وقته في كتابة ذلك الكتاب الرائع الذي وصف فيه أسفاره.

وكانت الأوصاف التي أعطاها ماركو بولو عن الشرق رائعة مثل حكايات الحوريات. وأخبر عن بلدان غنية بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، والجزر التي يتلألأ الماس فيها على الشاطئ. ويرتدي حكام هذه الدول ثياب الحرير الغالية المغطاة بالأحجار الكريمة المتلألئة، وسكنوا في القصور التي كانت أسطحها مصنوعة من الذهب الخالص.

وقام بوصف (كاثاي Cathay) الذهبية، مع المدن الشاسعة الغنية بالمصنوعات، وأيضاً (سيبانغو Cipango)، وكذلك (هندوستان Hindustan)، والهند الصينية. وما عُرِفَ بجزر الهند، الغنية بالتوابل، ووصف (سيبيريا Siberia)، وتكلم عن الزلاجات التي تجرها الكلاب، والدببة القطبية. الحقيقة أن المحيط الذي غَمَرَ الساحل الشرقي لآسيا قد أُثبت من قبله، وهذا أزال في ارتياح إلى الأبد، نظرية أن هناك مستنقعاً غير قابل للعبور شرق آسيا.

هذا الكتاب الذي كتبه ماركو بولو كان يُقرأ بشغفٍ في تلك الأوقات، وكانت الحقائق عجيبة جداً لدرجة أن الكثير من الناس رفضوا أن يصدقوها. وإن ذلك أثار الرغبة لدى الآخرين في السفر ورؤية تلك الأراضي بأنفسهم.

والسفر عن طريق البر، على أيّةِ حالٍ، كان في غاية الخطورة، بسبب عصابات اللصوص التي احتلت البلاد. هؤلاء الخارجون عن القانون قاموا بسلب كل شخص يشتبهون في وجود أي أموال لديه، وكثيراً ما قتلوا المسافرين من أجل الحصول على ممتلكاتهم. والسفر عن طريق البحر، أيضاً، كان خطيراً كذلك، ولكن على نحوٍ مختلف.

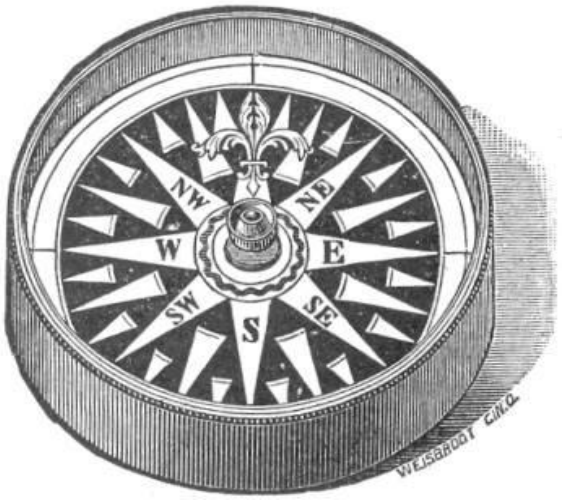

بوصلة البحارة

سوف نذكر لماذا لم يجرؤ البحارة على المغامرة بعيداً على المحيط والبحث عن مسار مائي إلى بلدان الشرق والجزر. وعلى أيةِ حالٍ، الوقت الذي سيجرؤون فيه على القيام بذلك، سيأتي قريباً، وكان هناك اثنان من الاختراعات الرائعة التي ساعدت هؤلاء الملّاحين كثيراً.

جاء أحدهما من العثور على الحجر المشحون loadstone، أو المغناطيس الطبيعي. هذا الحجر الذي لديه القدرة على جذب الحديد. بفرك إبرة الفولاذ على ذلك الحجر تصبح ممغنطة، كما نقول، وعندما عُلِّقَت على المركز وسُمح لها بحرية الحركة، فإنها تتأرجح دائماً حوله حتى تشير إلى الشمال والجنوب. فعُلِّقت على محور وحُصِرت في صندوق، وتسمى هذه الآلة (بوصلة البحارة). كانت ذات أهمية كبيرة للبحارة، لأنها دائماً تخبرهم بالطريق الذي يكون في اتجاه الشمال. في الأيام الملبدة بالغيوم، وخلال الظلام، وأثناء الليالي العاصفة، عندما لا يمكن رؤية الشمس والنجوم، البحارة يمكنهم الآن أن يحتفظوا بوجهتهم، بعيداً عن اليابسة، ويعرفون في أي اتجاه يسيرون.

الاختراع الآخر كان (الإسطرلاب). وكانت هذه الآلة من خلالها يستطيع البحارة قياس ارتفاع الشمس فوق الأفق عند الظهر، وبالتالي يمكن أن تخبرهم بمسافة السفينة عن خط الاستواء. إنها قيد الاستخدام على جميع السفن في الوقت الحاضر، لكنه قد تم تحسينها بشكل كبير، وتُسمى الآن بربع الدائرة.

جُعِلَت البوصلة والإسطرلاب، جنباً إلى جنبٍ مع تحسين الخرائط والرسوم البيانية، التي جعلت من الممكن إرشاد الملاحين حينما تكون سفينتهم بعيدة عن الأرض، أو في خضم العواصف والظلام. هذا جعلهم أكثر شجاعة، وكانوا يغامرون أبعد قليلاً عن الساحل، ولكن إلى هذا الوقت لم يكن أحد ما يجرؤ على الإبحار بعيداً في بحر الظلمات.

كولـومبوس

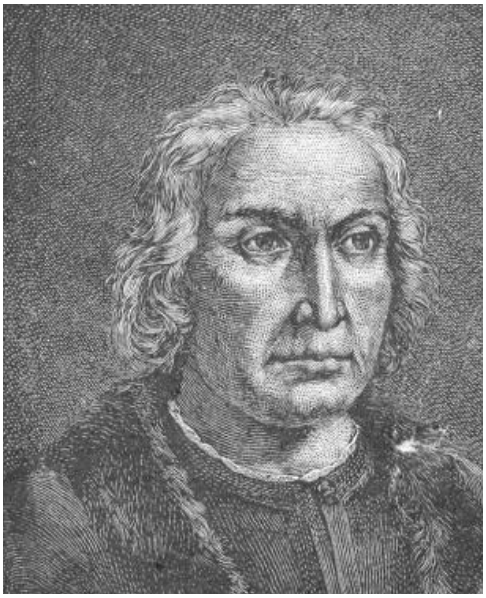

كريستوفر كولومبوس

ذات يـوم ظـهـر رجـل في البرتغال، قال إنه على يقين من أن الأرض مستديرة الشكل، وإنه يمكن أن يصل إلى الهند عن طريق الإبحار غرباً. ضحك كل منهم في وجهه، وسألوه: كيف ترغب في أن تكون المحاولة؟. فأجاب بأنه سيُبحر دائراً حول الأرض، إذا كان أحد ما من شأنه أن يوفر له السفن.

الناس استهزأوا به وسخروا منه.

وقالوا له: «إذا كانت الأرض كروية»، «فمن أجل الدوران حولها، يجب أن تبحر متصاعداً! فمن الذي سمع عن سفينة تُبحر متصاعدة؟».

«لكن هذا الرجل، الذي كان اسمه (كريستوفر كولومبوس)، ظل ثابتاً على اعتقاده.

عندما كان صبياً، استمع كولومبوس بشغفٍ لقصصٍ تحدثت عن البحارة حول الأراضي الغريبة والجزر الرائعة خارج الماء. وكان من عادته الجلوس على أرصفة الميناء ومشاهدة السفن. وكثيراً ما كان يقول: «أتمنى، أوه، أتمنى أن أكون بحاراً!».

أخيراً قال له والده ـ والذي كان يعمل ماشطاً للصوف: «يا بني، إذا كنت ترغب حقاً أن تُصبح بحاراً، فسوف أُرسِلك إلى مدرسة حيث سيتم تعليمك الملاحة».

كان كولومبوس مسروراً بهذا، وقال لوالده إنه سوف يدرس بجدٍ. وبالفعل تم إرساله إلى جامعة (باڤيا Pavia)، حيث تعلم كل الجغرافيا التي كانت معروفة آنذاك، وتعلم كذلك كيفية رسم الخرائط والرسوم البيانية. وأصبح كاتباً ماهراً، ودرس أيضاً علم الفلك، والهندسة، واللغة اللاتينية.

لكنه لم يقضِ فترة طويلة في دراسته، ففي سن الرابعة عشرة ذهب إلى البحر. وما كان قد تعلمه، على أية حال، أعطاه أساساً ممتازاً، ومنذ هذا الوقت وهو يتوق للاستفادة من كل فرصة ليكوِّن نفسه ليصبح رجلاً عالماً.

وقُدمت أول رحلة له مع أحد أقاربه غير وثيق القرابة به، الذي كان رجلاً مُغامراً وجريئاً، والذي كان مستعداً دائماً للشجار مع أي شخص يختار المشاجرة معه. مع مرور الوقت ترأس كولومبوس سفينته الخاصة، وأصبح يُعرف باسم الملّاح الجريء والمِقدام. وقام برحلة على طول ساحل أفريقيا جنوباً حتى غينيا، وبعد ذلك أبحر شمالاً إلى آيسلندا.

في وقت مبكر أصبح كولومبوس معتاداً على أشد أنواع المغامرة، وفي ذلك الوقت الحياة البحرية على البحر المتوسط كانت على درجة أكثر قليلاً من سلسلة من المعارك مع القراصنة. يقول البعض إنه خلال إحدى هذه الصراعات اشتعلت النيران في سفينة كولومبوس. ومن أجل إنقاذ حياته، قفز في الماء وسبح ستة أميالٍ إلى الشاطئ، ووصل إلى ساحل البرتغال. يقول آخرون إنه كان منجذباً إلى هذا البلد بسبب المدرسة الكبرى للملاحة التي أسسها الأمير هنري. وعلى أية حال ربما يكون أنه قد ظهر في لشبونة في سن الخامسة والثلاثين، ممتلئاً بفكرة الإبحار غرباً ليصل

إلى تلك البلدان الشرقية الغنية التي كان كل شخص مهتماً بها كثيراً.

لقد سُخِرَ منه لإظهاره مثل هذه الفكرة. ولم يكن كولومبوس مسروراً بهذه السخرية، ولكن كولومبوس كان شجاعاً ولم يتردد أبداً في اعتقاده.

وقال: «إن الأرض كروية»، «وهذه القصص الغبية عن كونها مسطحة ومحمولة على ظهر سلحفاة لا يمكن أن تكون صحيحة».

ولكن أولئك الأشخاص الذين تحدث معهم ضحكوا منه أكثر.

وسألوه: «هل هناك حماقة أكثر من الاعتقاد بأن هناك أشخاصاً يمكن أن يسيروا عليها بأقدامهم وتبقى رؤوسهم متدلية؟»، «أو التفكير بمكان تنمو فيه الأشجار مع بقاء فروعها إلى الأسفل، وحيث يتساقط الثلج، وتنهمر، الأمطار إلى أعلى!»

الجميع ظنوا أنه مجرد رجل كسول وحالم.

حاول كولومبوس إقناع الملك (جون John) بتزويده بالسفن والسماح له بأن يختبر اعتقاده. ولكن الملك جون بكل قسوة قام بخداع كولومبوس. لأنه، بعد حصوله على خرائطه ومخطوطاته، أرسل بعثة من تلقاء نفسه. آملاً بهذه الطريقة أن يَكْسَب لنفسه شرف مجدِ الاكتشاف. وكان البحارة الذين بعثهم، على أية حال، ليست لديهم الشجاعة الكافية لمواصلة الرحلة، وعادوا خائفين من عاصفة شديدة تعرضوا لها.

كان كولومبوس في غاية الاشمئزاز من خيانة الملك جون له، فاتخذ قراره بمغادرة البرتغال والذهاب إلى إسبانيا. لذلك، أخذ معه ابنه الصغير (دييغو Diego)، وبدأ في رحلته. حيث سافر من مكان إلى مكان، في محاولة للعثور على بعض الأشخاص الذين قد يساعدوه ليُعرب عن أفكاره للملك (فرديناند Ferdinand) والملكة (إيزابيللا Isabella). كان يعتقد أنه إذا تمكن من التحدث معهما لربما يتمكن من إقناعهما بتزويده بالسفن.

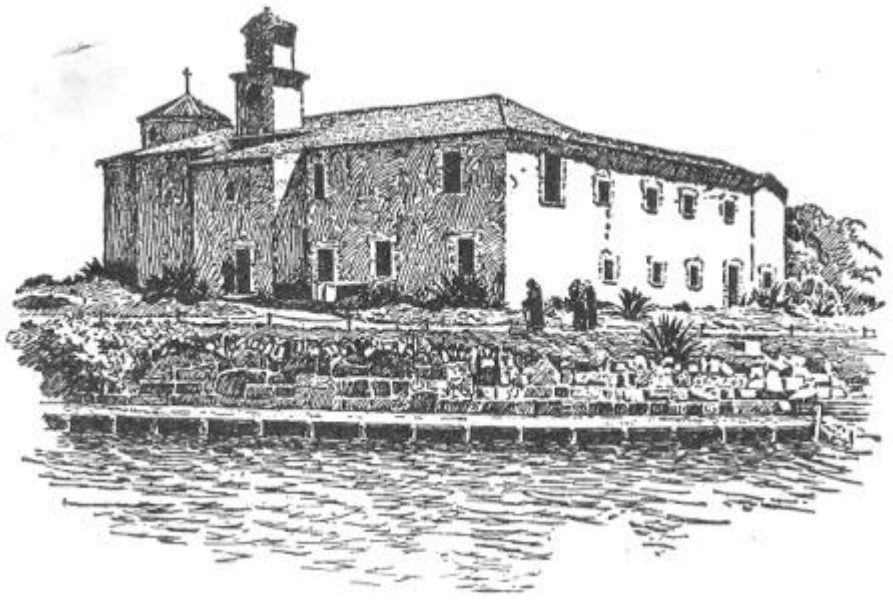

دير لا رابيدا

وذات يوم جاء إلى الدير المسمى (لا رابيدا Rábida La). هنا توسَّل دييغو، الذي كان مرهقاً وعطشان، إلى والده أن يتوقف ويطلب له شربة ماء. طرق كولومبوس على البوابة الحديدية الكبيرة، وبينما كان يتحدث مع البواب؛ اقترب منه راهب الدير.

وقد اجتذبت هذا الراهب الصفات النبيلة والكلام المهذب من كولومبوس، ورأى في لحظة أنه لم يكن متسولاً. سأله ما يتمنى، فسرد كولومبوس له قصته.

الراهب الطيب فهم منه، وقال إنه سيحاول التأثير على الملك والملكة لتزويده بالسفن. وأدلى الكاهن بهذه المسألة في حضرة الملك. ولكن هذه المرة كانت إسبانيا في حالة حرب مع المغاربة، وكان الملك فرديناند لا وقت لديه للتعامل مع أي أمر آخر. كان كولومبوس صبوراً وانتظر. ولكن مرت سنة بعد أخرى، وليس هناك أي أمل في الحصول على السفن التي تمناها، وتراجعت آماله. بعد سبع سنين طويلة ومرهقة من الانتظار، كان على وشك أن يغادر إسبانيا في يأس.

وبينما كان على وشك أن يغادر، جاءته رسالة من الملكة، تطلب منه فيها أن

كولومبوس في حضرة فرديناند وإيزابيلا

يوضح مخططاته لها مرة أخرى. كولومبوس فعل ذلك، وكانت الملكة مقتنعةً بفكرته تماماً، حتى إنها قالت له: «سأقدم لك السفن والرجال، ولو تعهدت بجواهري من أجل القيام بذلك».

وجُهِّزت ثلاث سفن للرحلة البحرية. وكانت هذه السفن مختلفة جداً عن تلك التي نراها اليوم. كانت مراكب شراعية بثلاثة صوارٍ خفيفة وضعيفة تسمى (كارافيل caravels)، واثنان منها، (بنتا Pinta) و(نينا Nina)، لم يكن بهما طوابق. وكانت الثالثة، (سانتا ماريا Maria Santan)، وهذه كان بها طابق. وعلى أكبر هذه السفن وضع كولومبوس لواءه.

في اليوم الثالث من أغسطس/ آب/ 1492م، الأسطول الصَغير أبحرَ مِنْ ميناء (بالوس Palos)، للدخول في الحملة الأكثر جرأة، والتي ما اضطلع بها رجل من قبل قط. وتجمَّع أهالي البلدة على رصيف المرفأ لرؤية السفن أثناء رحيلها. وكان العديد منهم لديهم أصدقاء أو أقارب على متنها والذين توقعوا أن لن يروهم مرة أخرى. كان

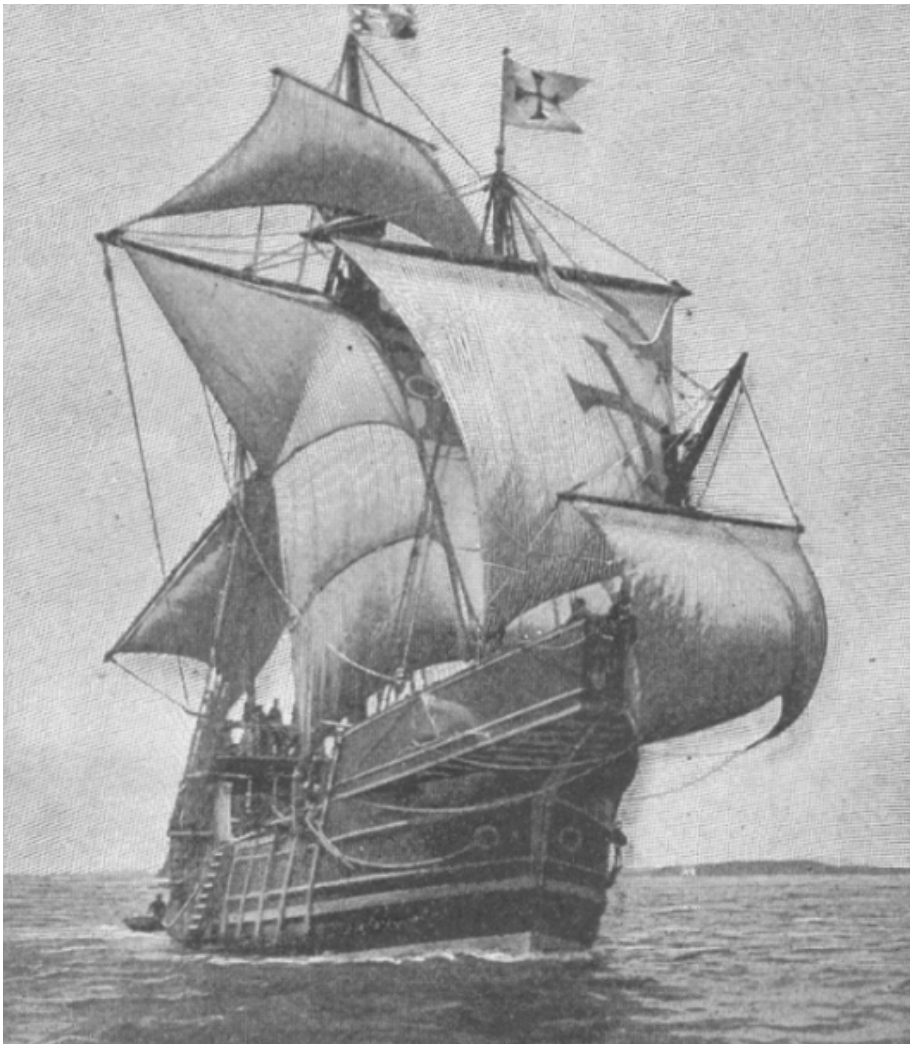

سفينة البنتا

المشهد حزيناً لرؤية المراكب الصغيرة وهي تغادر المرفأ وتتلاشى عن الأنظار.

وبعد الإبحار لبضعة أيام، البنتا انكسرت دفتها. هذا الحادث اعتبره البحارة علامة على سوء الحظ. حاولوا إقناع كولومبوس بإعادتها إلى ميناء بالوس، لكنه لم يستمع إلى مثل هذا الاقتراح. وبدلاً من الإبحار عائداً، انطلق صوب جزر الكناري. هنا تأخرت سفنه ثلاثة أسابيع، والتي بعدها واصلوا الرحلة البحرية إلى المياهِ المجهولة.

بعد أن أبحروا غرباً لعدة أيام، بدأت تظهر على البحارة علامات الخوف، وناشدوا كولومبوس من أجل العودة. حاول تهدئة مخاوفهم؛ بأن وصف لهم الأراضي الغنية التي يأمل في العثور عليها، وذَكَّرَهُم بالثروة والشهرة التي ستجلبها لهم هذه الرحلة. لذا وافقوا على المغامرة أبعد قليلاً.

أخيراً، بدأت البوصلة تشير في اتجاه مختلف، وأصبح البحارة على نحوٍ ما مذعورين. اعتقدوا بأنّهم كَانوا يُبحرونَ مباشرةً إلى الدمارِ، وعندما وجدوا أن كولومبوس لن يستمع إلى توسلاتهم خططوا للقيام بتمرد. على الرغم من أن كولومبوس عرف ما كان البحارة يخططون له، إلا أنه ظل ثابتاً على مساره. لحسن الحظ، علامات قرب اليابسة سرعان ما بدأت بالظهور. فرعٌ من شجرة توت يمضي عائماً، والتقطوا قطع مجداف منحوتة بطريقة بدائية، وشاهدوا الطيور البرية تحلق فوق السفن.

جائزة سوف تُمنح للبحار الذي سيشاهد الأرض لأول مرة، وراقب الجميع بفارغ الصبر ليلاً ونهاراً. أخيراً، في وقتٍ مبكرٍ صباح أحد الأيام، أُطلقت بندقية من السفينة (بنتا)، والكُل عرفوا أن الأرض قد شُوهدت. امتلأ البحارة بالفرحة والبهجة الغامرة، وتجمعوا حول كولومبوس للتعبير عن امتنانهم وإعجابهم، وعلى النقيض تماماً من عملية انعدام الثقة التي عاملوه بها قبل بضعة أيام.

الأرض التي كانوا يقتربون منها كانت جميلة جداً. كانت جزيرة خضراء، مُشمسة مع بساتين ممتعة تغني فيها الطيور. الزهور المتفتحة الجميلة في كل مكان، وكانت الأشجار محمَّلة بالفواكه. الجزيرة كانت مسكونة أيضاً، بمجموعة من الرجال يبدون غريبي المظهر والذين رأوهم يركضون إلى الشاطئ.

أخيراً، ألقت السفن المرساة، وأنزلت الـزوارق، وكولومبوس، يرتدي زياً قرمزياً ثميناً ويحمل في يده الراية الملكية لإسبانيا، وأخذ بالسير إلى الشاطئ. وبمجرد أن خطا بقدميه على الشاطئ، سجد كولومبوس على الأرض وشكر الله. ثم غرز راية إسبانيا في الأرض وأعلن ملكية البلاد باسم الملكين (فرديناند وإيزابيلا).

نزول كولومبوس

هذه الجزيرة أطلقوا عليها اسم: (سان سلفادور Salvador San)، لأنها قد أنقذته وطاقمه من قبرٍ مائيٍ، وأيضاً وافق 12 أكتوبر/ تشرين الأول، الاحتفال باليوم الوطني في التقويم الإسباني.

اعتقد كولومبوس أن (سان سلفادور) تكون احدى الجزر القريبة من سواحل آسيا، لكنها كانت في الحقيقة احدى جزر البهاما.

وهكذا كان اكتشاف أمريكا في تاريخ: 12 أكتوبر/ تشرين الأول من العام 1492م.

وكان أهالي هذه الجزيرة يختلفون عن أي أناس قد رآهم الإسبان من قبل. كانوا ذوي لون بني مُحْمَرّ، وكانت عظام الخد ناتئة، والعيون سوداء صغيرة، والشعر أسود لامع. وكانوا عراة تماماً، وأجسامهم دُهِنتْ وصُبِغتْ. وقد تم تزيين الشعر بالريش، وكثير منهم متزينون بحُلي غريبة.

هم كَانوا في بـادئ الأمـر خائفين كثيراً من الرجالِ البيضِ وبَقوا بعيدين عنهم. ولكن بشكل تدريجي تخلصوا من خوفهم وجلبوا الهدايا للإسبان من الموز والبرتقال. وتجمع لدى البعض منهم من الشجاعة ما يكفي لِلَمس الإسبان وتمرير أيديهم عليهم، كما لو أنهم يتأكدون من أنهم كانوا كائنات حقيقية. هؤلاء الرجال، الذين كان جلدهم أبيض، اعتقدوا بأنهم هم آلهتهم التي ستنزل من السماء.

عندما سألهم كولومبوس من أين عثروا على الذهب الذي صنعوا منه العديد من الحلي الخاصة بهم، أشاروا نحو الجنوب. فأخذ كولومبوس بعضهم معه للبحث عن أرض الذهب.

الأرض التالية التي وصل إليها كانت جزيرة (كوبا Cuba). والتي اعتقد بأنها كانت جزءاً من الهند، ودعا المواطنين بالهنود. ثم أبحر إلى هايتي، التي وصفها بأنها (هيسبانيولا Hispaniola)، أو «إسبانيا الصغرى». ولأكثر من ثلاثة أشهر طاف كولومبوس بين هذه الجزر، حيث كان الهواء دائماً معتدلاً، والسماءُ صافيةٌ، والأرضُ جميلة. واعتقد البحارة أن هذه الأراضي الجديدة كانت هي الجنة، ورغبوا في أن يعيشوا هناك دائماً.

أخيراً، على أية حال، فكروا في العودة إلى وطنهم وأصدقائهم. لذلك، أخذوا العديد من الهنود معهم، والعديد من السَّلالِ والحليِ الغريبة، وبدأوا رحلة عودتهم البحرية.

هذه الرحلة برهنت على أنها ستكون عاصفةً جداً، وفي لحظة ما، بدا من المؤكد أن السفن ستهبط لأسفل البحر. ولكن بعد فترة بدأ البحر بالهدوء، وفي الخامس عشر من مارس/ آذارِ أبحروا مرة أخرى إلى الميناء الصغير بالوس.

يمكنك الآن أن تتخيل الإثارة.

وتساءل الناس: «ماذا! هل عاد كولومبوس؟». «هل حقاً وجد الشرق بالإبحار غرباً؟».

وكان الجواب: «نعم، وجدها». وأضاف: «لقد وجد الهند».

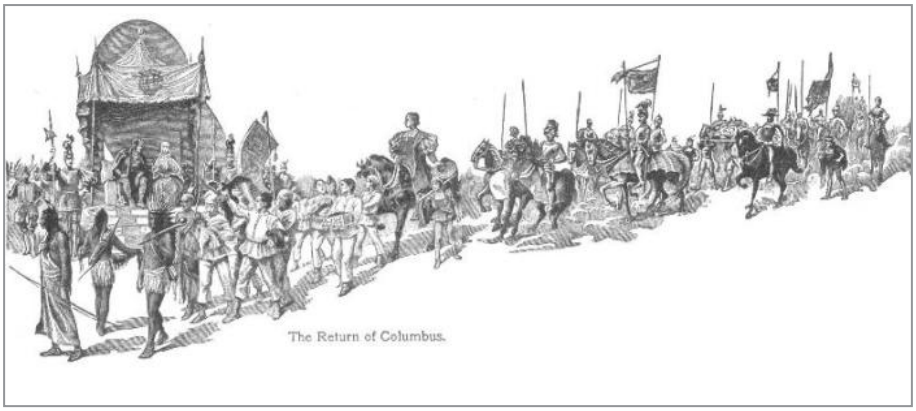

عودة كولومبوس

قُدِّم لكولومبوس ترحيب ملكي. وعقد الملك والملكة احتفالاً كبيراً تكريماً له في برشلونة. وعندما سار الهنود إلى البلاط،كانت دهشة كل شخص كبيرة. الهنود نصف عراة. وقد رُسِمت أجسامهم الداكنة، وكان يزين رؤوسهم الريش. وحملوا سلالاً من اللؤلؤ، وارتدوا الحلي الغريبة من الذهب. حمل بعضهم جلود الحيوانات البرية، وحمل آخرون الطيور الجميلة ذات الريش الرائع. كل فرد في برشلونة مبتهج، ودُقت الأجراس تكريماً للمكتشف الكبير.

كان وقتاً سعيداً لكولومبوس، فقد شعر بسداد كل ما قدمه من المعاناة والمتاعب.

الملك فرديناند والملكة إيزابيلا تمنَّوا الآن من كولومبوس الذهاب مرة أخرى إلى هذه الجزر المكتشفة حديثاً والبحث عن الذهب الذي كان يُعتقد أنه يكون هناك. أنت قد تكون متأكداً من أن كولومبوس كان على استعداد للذهاب. لذا جهَّزوا سبع عشْرة سفينة، جُهزت بخمسمائة رجل، ووُضِعَ كولومبوس لقيادة هذا الأسطول. ولم يكن من المتعب العثور على الرجال الذين كانوا على استعداد للذهاب في هذه الرحلة. فالكل يريد أن يرى العالم الجديد الذي كان قد تم العثور عليه.

خلال هذه الرحلة الثانية التي جرت في العام (1493م)، اكتشف كولومبوس (جامايكا) و (بورتوريكو) وبعض الجزر الصغيرة في البحر الكاريبي.

في جزيرة جامايكا عثر الإسبان على آثار أقدام بعض الحيوانات الغريبة التي

ظنوا أنها تعود لتنين. وظنوا أن هذا التنين كان يحرس الذهب الذي من المفترض أنه كان موجوداً في الجزيرة. حتى إنهم ركضوا إلى سفنهم في خوف. وفي وقت لاحق أصبحوا معتادين على رؤية هذه البصمات، وتبين أنها كانت من التماسيح. في بورتوريكو تعرضوا لهجوم وحشي قام به المواطنون، الذين أطلقوا السهام المسمومة ورموا الرماح عليهم. ولكن المواطنين في معظم الأماكن الأخرى كانوا ودودين للغاية.

اعتقد كولومبوس أن هذه الأرض كانت جزءاً من الساحل الشرقي لآسيا، وأنه لا يستطيع أن يفهم لماذا لم يجد مدناً مثل التي وصفها ماركو بولو.

ثم أبحر كولومبوس إلى هيسبانيولا، حيث أسس مستعمرة هناك، والتي جُعِلَ حاكماً عليها. لم يكن أمراً سهلاً أن يحكم هذه الجزيرة، بسبب الغيرة والمشاجرات من قبل الإسبان. أخيراً عاد كولومبوس إلى إسبانيا، مريضاً ومحبط العزيمة.

قَدَّم كولومبوس رحلة ثالثة في العام (1498م)، حيث أبحر على طول ساحل البرازيل، واكتشف جزيرة (ترينيداد Trinidad). هنا واجهت سفنه تيارات المياه العذبة التي تتدفق بقوة كبيرة في المحيط. وذلك قاد كولومبوس إلى الاعتقاد بأنه لابد وأن هناك نهراً كبيراً جداً يتدفق عبر قارة عظيمة، وعزز اعتقاده أن الأرض كانت جزءاً من القارة العظيمة من آسيا.

خريطة عرض لكيفية اكتشاف كولومبوس لأمريكا

وبعد الإبحار أبعد شمالاً على طول ساحل اللؤلؤ، والذي كان يسمى بهذا الاسم بسبب اللؤلؤ الموجود هناك، عاد كولومبوس إلى هيسبانيولا. وهناك وجد الإسبان قد انشغلوا في الحرب الهندية، ويتقاتلون فيما بينهم. بعض المسؤولين أصبحوا غيورين مِنه، فقيَّدوه بالسلاسل، ثم بعثوه أسيراً مرة أخرى إلى إسبانيا. كان فرديناند وإيزابيلا قد استاءا كثيراً من هذه المعاملة لكولومبوس، وقاما بإطلاق سراحه.

وقام كولومبوس بالرحلة الرابعة في العام (1502م)، خلالها استكشف ساحل (هندوراس) بحثاً عن المضيق الذي يؤدي إلى المحيط الهندي. وفي هذا المشروع لم يكن ناجحاً. ولدى عودته إلى إسبانيا وجد صديقته الملكة إيزابيلا مريضةً جداً، وبعد تسعة عشر يوماً من وصوله ماتت.

بعد وفاة إيزابيلا تعامل الملك مع كولومبوس بكل قسوة ونكران للجميل. الناس قد أَصْبَحوا يحسدونه كثيراً، وكان يُمضي أيامه الأخيرة في فقرٍ وبؤسٍ. ولم يكن يعرف أنه قد اكتشف قارة جديدة، ولكنه اعتقد أنه وجد الهند.

بعد سبع سنوات من وفاته، ندم الملك على جحوده له، وأوجب نقل بقايا جثمان كولومبوس من دير صغير في (ڤالدوليد Valladolid) إلى دير في إشبيلية، حيث شُيِّد له نُصُبٌ تذكاريٌ رائع يخلِّد ذِكراه. في عام (1536م) تم إزالة عظامه إلى كاتدرائية (سان دومينغو Domingo San) في هيسبانيولا، وبعد ذلك نقلت إلى كاتدرائية في (هافانا Havana).

وعندما أخذت الولايات المتحدة الأمريكية كوبا ضمن أملاكها، نبش الإسبان عظام كولومبوس مرة أخرى وحملوها إلى إسبانيا، وجعلوها في كاتدرائية إشبيلية، حيث هي الآن.

ڤَاسْكُو دِيْ جَامَـا

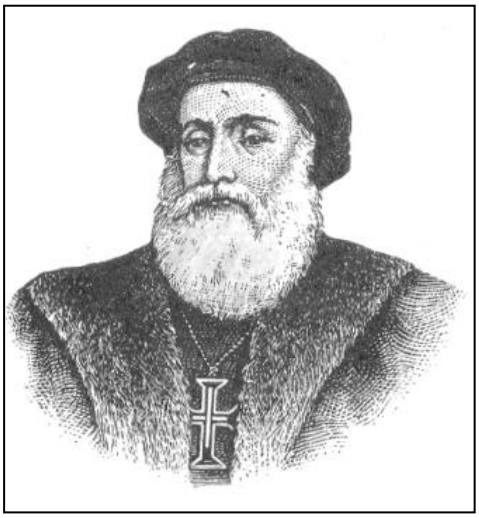

فاسكو دي جاما

انـقـطـع كـل مـن الإسـبـان والبرتغاليين عن التجارة مع الشرق، لأن الأتراك كانوا قد استحوذوا على القسطنطينية. ونتيجة لذلك، كان الملّاحون في كِلا البلدين يبذلون جهوداً جادة لإيجادِ طريقٍ بحريٍّ إلى الهند.

إسبانيا، كما تعلمون، كانت تضع ثقتها بكولومبوس، وساعدته في خطته في محاولة الوصول إلى الهند عن طريق الإبحار غرباً. لكن البرتغاليين لديهم فكرة مختلفة. فقد أضاعوا وقتهم وصرفوا أموالهم في محاولة الإبحار حول الساحل الأفريقي، إيماناً منهم بأن الهند يمكنهم أن يصلوا إليها عن طريق الممر الجنوبي الشرقي.

وهذا الممر الجنوبي الشرقي يمكن العثور عليه فقط، عن طريق عبور «المنطقة الملتهبة» ـ كما كان يطلق على جزء من الأرض الواقعة بالقرب من خط الاستواء ـ وجميع البحارة يخشون أن يقوموا بهذه المحاولة.

وساد اعتقاد بأنه من المستحيل تقريباً عبور هذه المنطقة الملتهبة، وعدد قليلٍ من الملّاحين الذين كانوا قد غامروا أبعد من خط الاستواء، قد عادوا أدراجهم، خوفاً من الدوامات البخارية والألسنة النارية من الحرارة.

في العام (1486م)، قبل ست سنوات من اكتشاف كولومبوس لأمريكا، أرسل ملك البرتغال، الملّاح الجريء الجسور (بارثولوميو دياز Bartholomew Diaz)، لإيجاد نهاية الساحل الأفريقي.

بارثولوميو دياز أبحر من خلال المنطقة الملتهبة دون أن يهتم بأي من المحن المروعة التي كان يخشاها البحارة. عندما أبحر خارج مدار الجدي، ظهرت عاصفة شديدة. وعصفت الريحُ بسُفُنه الثلاثة مباشرة نحو الجنوب لثلاثة عشرَ يوماً، خلال ذلك الوقت انعدمت رؤية الأرض. وعندما أشرقت الشمس مرة أخرى، وجَّه دياز سفنه شرقاً، ولكن مع عدم ظهور أية أرض، غَيَّر الاتجاه مرة أخرى، وهذه المرة اتجه بسفنه نحو الشمال. وبعد الإبحار لوقت قصيرٍ شمالاً، تم الوصول إلى الأرض، حوالي مائتي ميلٍ إلى الشرق من (رأس الرجاء الصالح).

الآن دياز انطلق على مسافة أربعمائة ميلٍ أبعد على طول الساحل الأفريقي، ورأى فُسحة واسعة من المحيط الهندي قبالته. هنا البحارة رفضوا الذهاب أبعد من ذلك، على الرغم من أن دياز كان يرغب كثيراً في المضي قدماً ومحاولة الوصول إلى الهند، إلا أنه اضطر للعودة.

في الطريق إلى الوطن، مرّت سفنه على مقربة من الرأس الذي يبرز من الساحل الجنوبي لأفريقيا، واسماه دياز بـ(رأس العواصف)، في ذكرى العاصفة المخيفة التي أخفت عن أنظارهم اتجاه الطريق. ولكن عندما وصلوا إلى لشبونة، الملك جون قال إنه يجب أن يسمى بـ(رأس الرجاء الصالح)، لأن لديهم الآن أملاً في العثور على الطريق الجنوبي إلى الهند.

فاز دياز بالكثير من الثناء على شجاعته وصبره في تقدم ونجاح هذه الرحلة. وكان قد أثبت أن القصص حول المنطقة الملتهبة كانت خاطئة، وأن الساحل الأفريقي له نهاية.

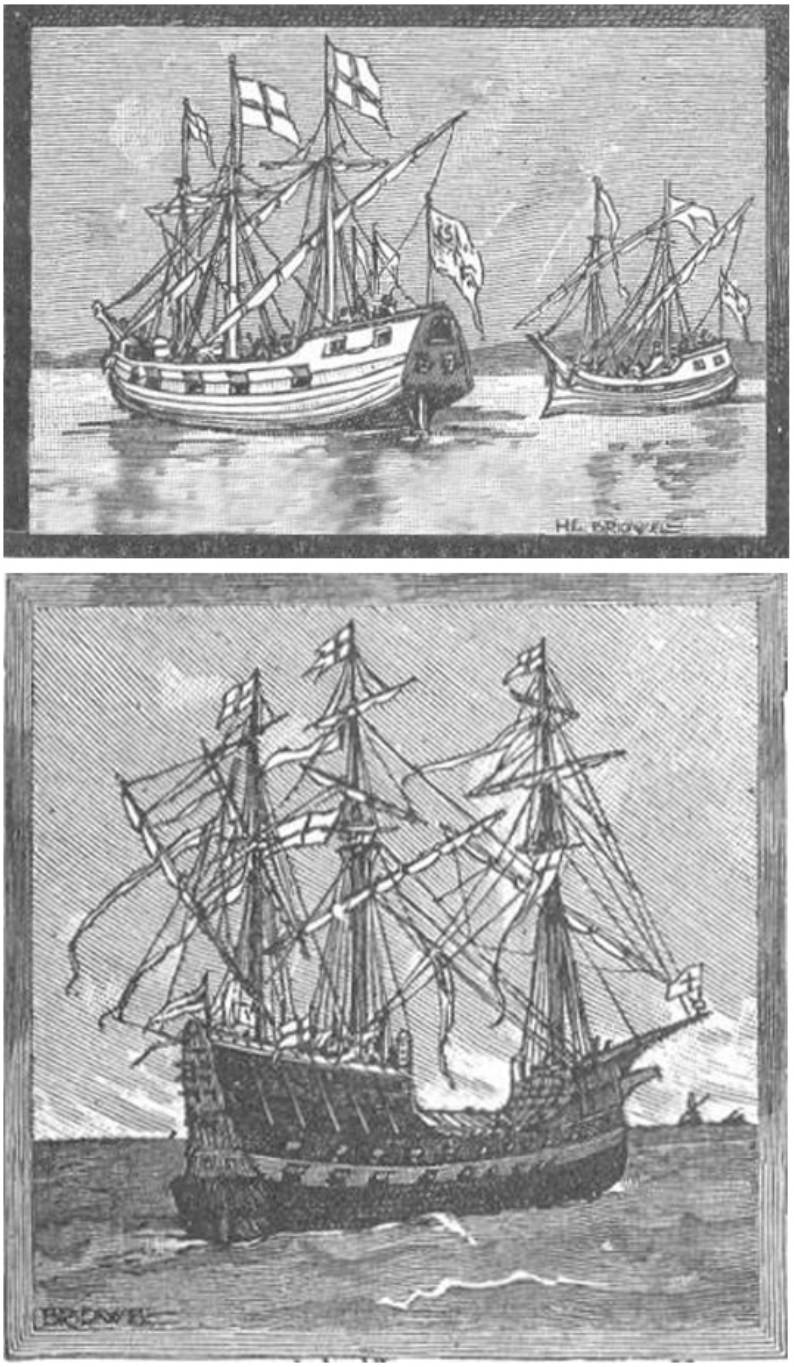

سفن إسبانية وبرتغالية

زي المستكشفين

وعلى أية حال فقد تبقى ذلك لـــ(ڤاسكو دي جاما Vasco da Gama)، وهو شابٌ صغير في العشرين من العمر، ليثبت أن الهند يمكن أن يتم الوصول إليها في نفس هذا الطريق.

في العام (1497م) أبحر ڤاسكو دي جاما من لشبونة إلى رأس الرجاء الصالح، دار حول الرأس، وانطلق عبر المحيط الهندي إلى (هندوستان Hindustan).

عاد ڤاسكو إلى لشبونة في العام (1499م)، وسفنه محملة بالمنتجات الغنية من الشرق، بما في ذلك القرنفل والبهارات والفلفل، والزنجبيل، وجوزة الطيب. أحضر معه أيضاً العباءات الثمينة من الحرير والساتان، والأحجار الكريمة الغالية، والعديد من المواد المصنوعة من العاج المنحوت، ومن الذهب والفضة.

وكان ملك البرتغال مسروراً إلى حدٍ كبيرٍ بالإنجاز الذي حققه ڤاسكو دي جاما، وكانت رحلته الناجحة أعجوبة يومها.

في نفس العام الذي عاد فيه ڤاسكو دي جاما من الهند بواسطة الطريق الذي كان حول الطرف الجنوبي من أفريقيا، مع سفنه المحملة بالمنتجات الغنية، عاد كذلك (سيباستيان كابوت) من رحلة بحرية غير مثمرة إلى الساحلِ القاحلِ الغريب لأمريكا الشمالية.

ولم يكن من المستغرب أن رحلات كولومبوس و(كابوتس Cabots)، كان يُعتقد بأنها غير ناجحة بالمقارنة مع رحلة دي جاما التي انتهت للتو.

ثم لا أحد يحلم بعالم جديد، فالجميع كانوا يبحثون عن المشرق لأجل كاثاي الذهبي.

رَحَلات جُونْ وسِيْباسْتِيَانْ كَابُوتْ

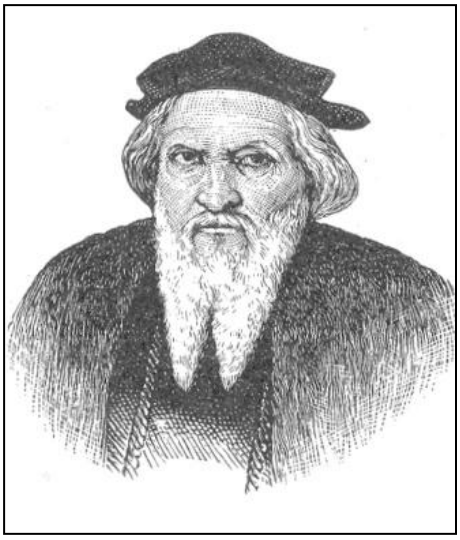

سيباستيان كابوت

كان (جون كابوت John Cabot) تاجراً فينيسياً، ورجلاً بَحّاراً جريئاً ومُشتغلاً بصناعة البحر؛ لأغراض تجارية كان قد اتخذها في منزله في مدينة (بريستول Bristol) بإنجلترا. كانت بريستول في ذلك الوقت أهم ميناء بحري في إنجلترا، والتي تقوم على تجارة الصيد الكبيرة مع (آيسلندا Iceland).

عندما وصل خبر رحلة كولومبوس إلى بريستول، توسَّل كابوت الملك الإنجليزي (هنري السابع Henry VII)، للسماح له بالذهاب ومعرفة ما إذا كان يمكن أن يجد طريقاً أقصر إلى جزر الهند. الملك أعرب عن موافقته، وأخبرَه كابوت بأنه سيأَخُذ ملكية أيّ أرضٍ قَدْ يَكتشفُها لملكية إنجلترا.

جَهَّز كابوت سفينته، وأخذ ابنه (سيباستيان Sebastian)، وطاقماً من ثمانية عشر رجلاً معه، أبحر في العام (1497م). واتجه بسفينته غرباً، على أمل الوصول إلى جزر التوابل، وذلك الجزء من آسيا الذي كان غنياً جداً بالذهب، والتي فشل

كولومبوس في العثور عليها. في نهاية المطاف، في صباح يومٍ مشرقٍ من يونيو، شوهدت الأرض في الأفق.

هذه الأرض، التي ربما كانت جزءاً من (نوڤا سكوتيا Scotia Nova)، ثبت لديهم أنها شاطئ وحيد ذو غابات كثيفة. أطلق عليها كابوت: «أول أرض شوهدت». كانت مهجورة تماماً، وليس ثمة إنسان ولا كوخ من أي نوع يكون في الأفق.

هنا ذهب كابوت وابنه سيباستيان وبعض من طاقمه إلى الشاطئ، وكان أول رجل أبيض، باستثناء الإسكندنافيين، يخطو على البر الرئيسي لأمريكا. قبل هذا الوقت، كان كولومبوس قد اكتشف الجزر الهندية الغربية فقط. بعد مضي سنة من هذا اكتشف قارة أمريكا الجنوبية. كابوت ورفاقه نصبوا صليباً كبيراً على الشاطئ، وغرزوا ساريتي علمٍ في الأرضِ، التي منها نَشروا الأعلامَ الإنجليزية والفينيسية. ثم عادوا إلى سفنهم، وبعد الإبحار حول خليج (سانت لورانسSt. Lawrence)، عادوا إلى إنجلترا.

الملك هنري والشعب تلقوا جون كابوت بتشريفٍ عظيمٍ. اعتقد الجميع أن كابوت قد وصل إلى آسيا، واعتقد هو أيضاً ذلك. وقد دُعي بـــ«الأدميرال العظيم Admiral Great» وركض وراءه شعب بريستول في الشوارع، وهم يهتفون باسمه ويحاولون بكل وسيلة ليعبروا له عن مدى إعجابهم به وإكرامه. أعطاه الملك خمسين دولاراً من المال، والذي يبدو لنا في هذه الأيام مبلغاً صغيراً عن فترةٍ طويلةٍ جداً ورحلة خطرةكهذه. وبالإضافة إلى هذا، حَثَّهُ الملك على القيام برحلة أخرى.

بعد حوالي سنة قام سيباستيان كابوت بالرحلة الثانية، وهذه المرة وصل إلى الشاطئ الموحش (لابرادور Labrador).

سيباستيان في رحلته أبحر إلى أقصى الشمال، ومَرَّ بالعديد من الجبال الجليدية، ورأى العديد من المعالم السياحية الغريبة والرائعة.

وعلى كتل كبيرة من الجليد التي عامت بجانب السفينة رأى الدببة البيضاء الهائلة. وتلك الدببة كانت تسبح بمهارة، وغالباً ما تقفز في الماء وتمسك بالأسماك،

والتي تلتهمها بشراهة. المياه مُلئت بالأسماك، ومع اقتراب السفينة من الشاطئ، ازدادت أعدادها حتى تسببت في تأخير إبحار السفينة.

«الآن»، قال كابوت: «الإنجليز لن يستطيعوا الذهاب إلى آيسلندا بعد الأن من كثرة الأسماك».

ولكن كابوت يعلم أن الأراضي التي كان يريدها هي أراضٍ دافئة. لذلك التف بسفينته جنوباً على أمل الوصول إلى بعض الثغرات التي من شأنها أن تؤدي إليها. ولدهشته الكبيرة، وجد أن الساحل طويل جداً ومن دون أي انفتاح، وأبحر دون انقطاع وصولاً إلى (ماريلاند Maryland)، وأخذ ملكية هذه الأرض لإنجلترا.

في الأماكنِ التي مر بها على طول هذا الشاطئ رَأى الهنود، تَكْسُوهُم الجلود وفراءِ الحيوانات البريَّة، يصطادون السمك في الزوارقِ الصّغيرةِ. وشُوهدت الأيائل أكبر بكثير من التي توجد في إنجلترا وبأعدادٍ كبيرةٍ، والديوك الرومية البرية، وتَزخر بجميع أنواع الطرائد.

ثم بدأ سيباستيان كابوت بالاعتقاد أن هذا المكان كان جزءاً من آسيالم يُعرف من قبل، وأبحر عائداً إلى الوطن ليخبرهم بتلك الأنباء الرائعة.

عندما وصل إلى بريستول وَجَدَ الجميع لا يزالون مُهتمين بالهند. وكان المطلوب طريقاً مائياً إلى الهند، وليس وطناً جديداً. اهتم الناس أكثر بشأن التَّوصل إلى بلاد كاثي الذهبية بدلاً من إيجاد أراضٍ جديدة قاحلة.

لذلك، وعلى الرُّغم من أن الملك هنري كان فخوراً بمعرفة أن هذه الأرض الجديدة قد أصبحت الآن تنتمي إلى إنجلترا، كان هناك أحد عشر عاماً مرت قبل أن يقوم بأي محاولة أخرى لإرسال سفنٍ إلى هناك لاتخاذ أية ممتلكات أخرى.

أَمْرِيْكُو فِسْبُوتْشِي

أمريكو فسبوتشي

كان (أمريكو فسبوتشي Amerigo Vespucci) مواطناً فلورنسياً، إيطالياً، وصديقاً لكولومبوس. وكان رجلاً متعلماً ومولعاً جداً بالبحث العلمي.

في الوقت الذي عاش فيه فسبوتشي كان من الصعب العثور على خطوط الطول والعرض للأماكن، وفوق ذلك قلة من الناس كانوا قادرين على عملية الحساب بشكلٍ صحيح. كان فسبوتشي ماهراً في أعمال حوسبة خطوط الطول، وكان أيضاً مطلعاً بشكل جيد على تاريخ كل الرحلات التي أُنجزت. كان جيد الاطلاع على حقائق علم الفلك والجغرافيا المعروفة آنذاك، وكان قادراً على تولي قيادة إبحار سفينة في مياه غريبة.

ويُعتقد أن فسبوتشي قام بست رحلات. وإنه لم يقم بقيادة سفن خاصة به، كما فعل كولومبوس، ولكنه ذهب مع البعثة مساعداً أو مستشاراً للكابتن، يقوم بحفظ سجلات الرحلة البحرية ويوفر الخرائط والمخططات.

في أول رحلة له، والتي تم إجراؤها في العام (1497م)، وصل فسبوتشي إلى

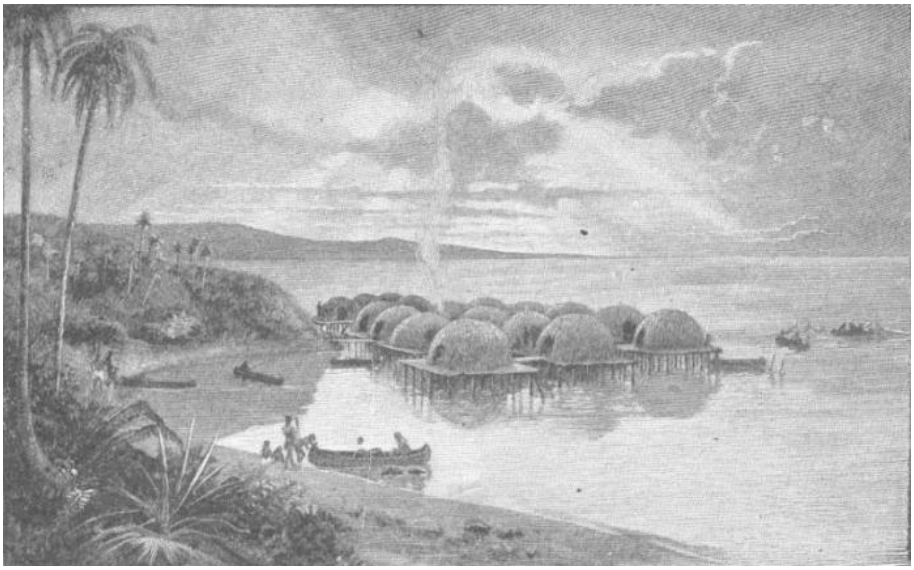

القرية البحرية الغريبة

ساحل (هندوراس Honduras)، وأبحر إلى (خليج المكسيك). وهنا وجد، وربما على ساحل (يوكاتان Yucatan)، قرية بحرية غريبة، والتي ذكَّرته بالمدينة العظيمة فينيسيا القريبة من منزله.

البيوت في هذه القريةِ صُنِعَتْ من الخشبِ، وبُنيت على خوازيق غُرزت في الماء. تم ربط هذه المنازل مع الشاطئ بالجسور التي شُيِّدَت في مثل هذه الطريقة التي يمكنهم سحبها إليهم، وبالتالي ينقطع كل اتصال بالأرض. وجد فسبوتشي ستمائة شخص في بيت واحد. عائلة كبيرة جداً! أليس كذلك؟.

استمرت الرحلة حول خليج المكسيك، ورأى فسبوتشي أشياء كثيرة غريبة ورائعة. المواطنون يشوون ويأكلون حيوانات مخيفة، والتي من الوصف الذي أعطانا إياه عرفنا أنها كانت التماسيح. كما صنعوا الكعك، أو الفطائر، من الأسماك، وخبزوها على الفحم الحجري. دُعي الإسبان لتذَوّق هذه الأطعمة الطيّبةِ، وأولئك البحارة الذين فعلوا ذلك وجدوا الأطعمة الغريبة لذيذة جداً.

وبعد الإبحار حول ساحل ولاية (فلوريدا Florida)، توجهت السفن للشمال

الشرقي، ثمة إنزال بين الحين والآخر لغرض التداول التجاري مع الهنود. الإسبان، وجدوا القليل من الذهب ولا توجد التوابل الغنية التي كانوا يبحثون عنها، وفي نهاية المطاف قرروا العودة إلى بلادهم.

قبل الإبحار، بعض الهنود الودودين ساعدوا الإسبان على القيام بهجوم على جزيرة آكلي لحوم البشر. وكان الهجوم ناجحاً، وحوالي مائتين من أكلة لحوم البشر أخذوا أسرى وحملوا إلى إسبانيا، حيث تم بيعهم كعبيد.

قام فسبوتشي بالرحلة الثانية في عام (1499م)، والتي أبحر فيها أسفل الساحل الأفريقي إلى جزر الرأس الأخضر، ثم اتجهت سفينته تقريباً مباشرة إلى الغرب. وشاهد الأرض في رأس (سانت روكي St. Roque)، ثم أبحر إلى الشمال الغربي، واستكشف الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية، ثم أطلق عليه اسم (الساحل اللؤلؤي). بعد ذلك عاد إلى إسبانيا.

بعد فترة وجيزة من عودة فسبوتشي إلى إسبانيا، قَبِلَ عرضاً لأَخْذ الخدمةِ تحت العَلَم البرتغاليِ.

في العام (1501م) كان قد أبحر من لشبونة بثلاثة سفن، تحت هذا العلم. وصل إلى سواحل أمريكا الجنوبية بالقرب من رأس سانت روكي، وأبحر جنوباً حتى جزر جنوب (جورجيا Georgia).

وبينما كان يمضي جنوباً، وجد البلاد مأهولة من قبل هنود شرسين، والذين أكلوا أشخاصاً من زملائهم. لم يعجبه المواطنون، كما قد تتصور أنت؛ لكنه فكر بأن البلد جميل، مع الخضرة الرائعة وأوراق الأشجار في المناطق المدارية، والحيوانات والطيور بألوانها المشرقة.

كانت فرحة فسبوتشي كبيرة عندما اكتشف في الغابات وجود كمياتٍ كبيرةٍ من نوع الخشب الصبغي الأحمر الذي له قيمة كبيرة جداً لدى الأوروبيين. هذا الخشب، الذي كان حتى الآن لا يوجد إلا في البلدان الشرقية، سمي بخشب البرازيل؛ وبسبب وفرته هناك، أُعْطِي اسم (البرازيل) إلى ذلك الجزء من البلاد.

الحملة أبحرت ببطء وأخيراً فقدوا رؤية اليابسة. ويعتقد أن فسبوتشي قام بقيادة السفن جنوب شرق، لأنه كان يرغب في معرفة ما إذا كان هناك أرض أم لا في المحيط القطبي المتجمد الجنوبي.

كلما أبحروا أبعد وأبعد إلى الجنوب، أصبح المناخ سيئاً جداً. الرياح ازدادت برودة ووعورة، وأعاقت حقول الجليد العائمة تَقَدُّم السفينة، وأصبحت الليالي طويلةً جداً.

ازداد رعب البحارة، خوفاً من أنهم دخلوا أرض الظلام الدائم. أصبح خوفهم أكبر عندما نشأت عاصفة مروعة. ازداد هيجان البحر، والضباب والصقيع منع البحارة من رؤية ما إذا كانت الأرض قريبة أم لا. وأصبحت الأرض التي كانوا يأملون أن يجدوها الآن تشكل خطراً إضافياً.

ذات يوم، خلال المطر المتجمد والثلوج، شاهد البحارة بكل رهبة، ساحلاً صخرياً مُتعرّجاً أمامهم.

ثَبَتَ أن هذه الأرض هي جزر جورجيا الجنوبية، وكانت هذه البلاد البائسة واليائسة تتكون من الصخور والأنهار الجليدية، ومهجورةً تماماً. وقاموا بالإبحارِ لمدة يوم ونصفٍ على مقربة من هذا الشاطيءِ المخيفِ، مع خوفهم من كُل لحظةٍ من شأنها أنْ تُلقى فيها بالسفينة على الصخور، فيموتون جميعاً. وحالما سمح الطقس، بناءً عليه، أشار فسبوتشي إلى أسطوله، وتوجهت السفن للعودة إلى الوطن، ليصل إلى البرتغال في العام (1502م).

هذه الرحلة أَمَّنَتِ البرازيل للبرتغال، وأضافت بشكل كبير للمعرفة الجغرافية المعروفة اليوم.

كان القدماء يقولون إنه لا توجد قارة جنوب خط الاستواء. ولكن الطول العظيم للساحل الذي أبحر عليه فسبوتشي أثبت أن الأرض ليست جزيرة. كانت هناك بوضوح قارة، وإلى الجنوب من خط الاستواء.

قام فسبوتشي بتسمية الأرض التي وجدها بالعالم الجديد. ولفترة سميت أيضاً

بالجزء الرابع من الأرض، والثلاثة أجزاء الأخرى تكون أوروبا وآسيا وأفريقيا. في العام (1507م) نشر كاتب ألماني وصفاً لهذا الاكتشاف، الذي دعا فيه هذه البلاد الجديدة باسم (أمريكا)، تكريماً لأمريكوس فسبوتشي Americus Vespucius[1]، المكتشف.

هذه الأرض لم تكن مرتبطة بأي شكل من الأشكال باكتشاف كولومبوس، لأنه كان من المفترض أنه وجد آسيا.

اسم (أمريكا) في البداية كان لا يُطلق إلا على ذلك الجزء من البلاد التي نسميها الآن البرازيل، ولكن شيئاً فشيئاً الاسم امتد حتى شمل كل القارة الغربية.

أنت الآن سوف تكون سعيداً لمعرفة أن فسبوتشي، في وقت نجاحه، لم ينس صديقه القديم كولومبوس، الذي كان آنذاك فقيراً وفي حالة مزرية. فقد زاره فسبوتشي وفعل كل ما في وسعه لمساعدته.

بعد فسبوتشي قُدِّمَت ثلاث رحلات أخرى إلى العالم الجديد، وأما هو فقد تقلد منصباً حكومياً مهماً في إسبانيا، والذي شغله خلال الفترة المتبقية من حياته.

(1) Americus Vespucius: هو الشكل اللاتيني لاسم (أمريكو فسبوتشي).

بُونْـسْ دِي لِيُـون

بونس دي ليون

أنـت لربما قد سَمِـعْـتَ بالكثير عن الأمور المدهشة التي كان يؤمن بها الناس في القرن الخامس عشر. ويَبْدو شبه مستحيل لنا الاعتِقاد بِـأَنَّ هؤلاء الناس كَانَ حقاً عِنْدَهُمْ إيمانٌ بـــ(ينبوع الشباب). ولكن هذا هو الحال.

كان من المفترض أن هذا الينبوع موجود في مكان ما من العالم الجديد، وكـان يُعتقد أنـه إذا قـام أي شخص بالاستحمام في مياهه، فإنه سيصبح شاباً ولن يكبر في السن مجدداً.

في العام (1513م) رجل يدعى (بونس دي ليون Leon de Ponce)، الذي كان آنذاك حاكم (بورتوريكو Rico Puerto)، أبحر من تلك الجزيرة بحثاً عن ينبوع الشباب. وكان دي ليون رجلاً عجوزاً، وكان يشعر بأن حياته قد انتهت تقريباً، إلا أنه ينبغي له أن ينجح في العثور على هذا الينبوع. في الوقت نفسه تمنى دي ليون الحصول على الذهب، على الرغم من أنه بالفعل قد جمع ثروة طائلة في بورتوريكو، لكنه لا يزال جشعاً جداً.

الحملة تحت قيادته أبحرت بين جزر (البهاما Bahamas) وجزر أخرى بالقرب منها، وأخيراً وصل إلى أرض جميلة مفعمة بالزهور، ومعتدلة بالنسائم الدافئة، ومع بهجة تغاريد الطيور. ولأن هذا الاكتشاف جاء جزئياً على عيدِ الفصح الأحد، الذي دَعاه الإسبان (باسكوا فلوريدا Florida Pascua)، وجزئياً بسبب وفرةِ الزهورِ، فقد دَعا دي ليون الأرض بفلوريدا.

أَخذَ ملكية هذه البلادِ المبهجةِ لإسبانيا، ثم قضى عدة أسابيع في استكشاف سواحلها. وبعد الإبحار شمالاً وصولاً إلى رأس (سانت أوغسطين St. Augustine)، وحين أدرك أنه لا وجود للذهب ولا لينبوع الشباب الأسطوري، أدارَ دي ليون سُفُنه ومَضى جنوباً، وأبحر حول رأس فلوريدا الأخضر. بعد ذلك بوقت قصير أصبح محبط العزيمة، وعاد إلى بورتوريكو.

في العام (1521م) ذهب دي ليون مرة أخرى إلى فلوريدا، وهذه المرة لغرض تأسيس مستعمرة. الهنود كانوا غاضبين جداً لأن الرجال البيض يحاولون أخذ أرضهم، وقاموا بهجومٍ ضارٍ ضد دي ليون وجماعته. في هذا الهجوم حصل دي ليون على جرحٍ شديدٍ، والذي اضطره للذهاب إلى (كوبا) للحصول على الرعاية الصحية والراحة. وتوفي هناك بعد كثير من المعاناة. ولم يجد دي ليون نافورة الشباب، ولم تكتشف المياه الأسطورية بعد ذلك.

بَـالْبُـوا

قام المستعمرون الإسبان في جزيرة هيسبانيولا بزيارات متكررة إلى البر الرئيسي بحثاً عن المدن الغنية التي كتب عنها ماركو بولو.

ووصل إلى سمع المستعمرين أن بعض صيادي الذهب هؤلاء كانوا يتضورون جوعاً في مكان يدعى (دارين Darien)، وأرسلت مباشرةً سفينة لإغاثتهم. حمولة السفينة تكونت من براميل من المؤن والذخيرة.

تخيل، إذا أمكنك، دهشة قائد الحملة، عندما كانت سفنه مبحرة، خرج شاب وسيم من أحد البراميل. كان الشاب (فاسكو نونيز بالبوا Balboa Nuñez Vasco). وقال إنه اختار هذه الوسيلة للهروب من كوبا، حيث كان مداناً بمبالغ كبيرة من المال لا يمكنه سدادها. غضب الكابتن، وهدد بترك بالبوا على جزيرة معزولة. ولكنه في النهاية أشفق على الشاب، وسمح له بالبقاء على متن السفينة.

عندما تم التوصل إلى البر الرئيسي، الإسبان الذين كانوا هناك، بعد أن سمعوا عن قسوة الكابتن، رفضوا السماح له بالنزول إلى الأرض. ولذلك فقد ردوه للبحر، ولم يستمعوا له مرة أخرى. ثم أخذ بالبوا قيادة الرجال وبدأ على الفور باستكشاف البلاد.

وأقام تحالفاً ودياً مع زعيم هندي، والذي قدم له هدية من الذهب والعبيد. كان الإسبان مبتهجين جداً لرؤية تلك الثروات الكثيرة. وبدأوا في إذابة ووزن الذهب، ووقعوا في نهاية المطاف في شجار مستميت حول تقسيمه.

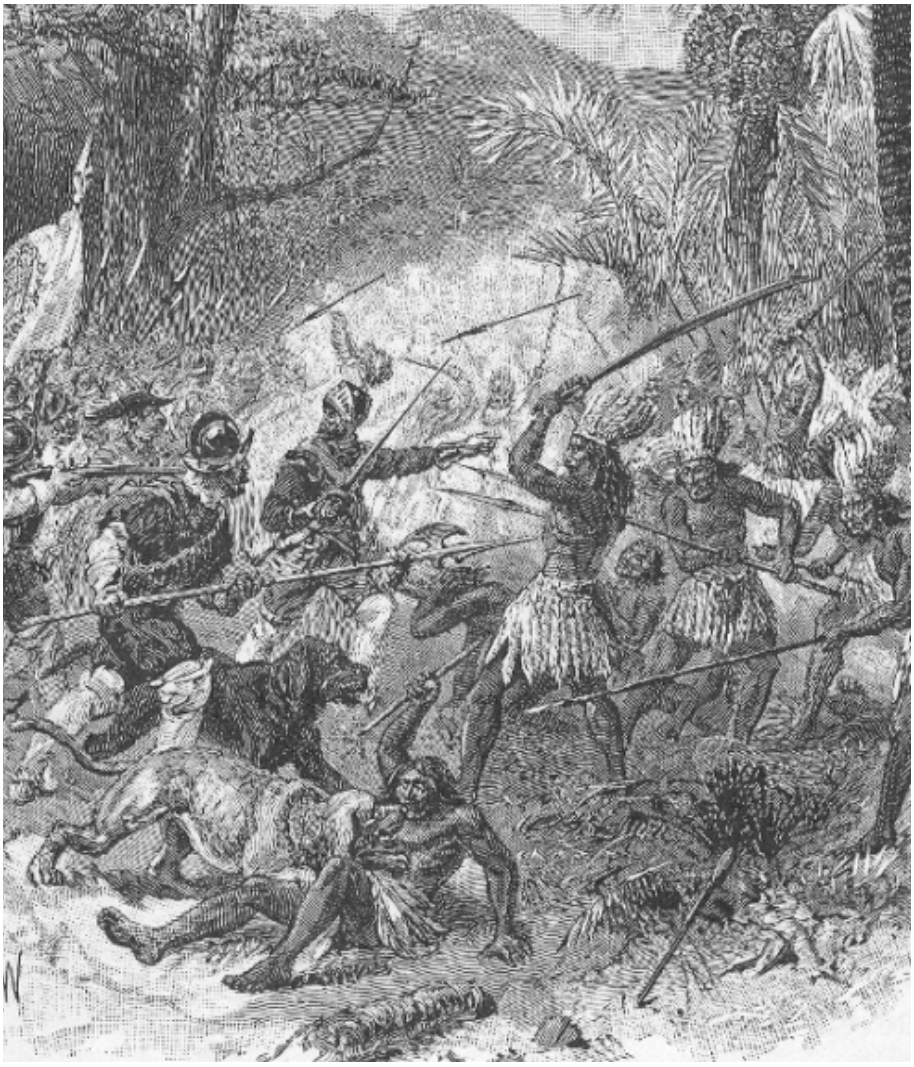

بالبوا يعبر البرزخ

هؤلاء الهنود لا يمكن أن يفهموا. إنهم لا يعرفون شيئاً عن المال، وقيمة المعدن عندهم أنه يمكن أن يتحول إلى حُلي جميلة فقط.

وقال صبي هندي سمع النزاع بين الإسبان؛ إنهم إذا كانوا مهتمين كثيراً بتلك المادة الصفراء، قد يكون من الحكمة لهم الذهاب إلى تلك البلاد، حيث سيكون هناك منه ما يكفي للجميع.

الإسبان استجوبوه بفارغ الصبر بخصوص هذا المكان. ثم وصف لهم الصبي بلاداً عبر الجبال وإلى الجنوب، على شواطيء البحر الكبير، حيث كان المعدن وفيراً بحيث أن الأهالي استخدموه لأكواب الشرب العادية والأوعية.

بالبوا بدأ على الفور جنوباً عبر الجبال بحثاً عن هذه البلاد الغنية. في طريقه وقع على قبيلة من الهنود المعادين الذين هاجموه، ولكنهم فروا في ذعر من بنادق الإسبان.

أخذ بالبوا بعض الهنود كمرشدين، وشق طريقه عبر الجبال، وفي 25 سبتمبر/ أيلول من العام (1513م) ومن إحدى القمم العالية، نظر إلى أسفل على المحيط الهادي.

وانحدر من الجبل مع رجاله الإسبان، وخلال أربعة أيام وصل إلى شاطئ تلك الهيئة الرائعة من الماء. بالبوا خاضَ فيه بسيفِه في يَدِه، وأَخذَ ملكيته رسمياً لملكِ إسبانيا. ودَعاه البحرَ الجنوبي، لأنه كَانَ يَنْظرُ نحو الجنوبِ عندما رَآه لأول مرة؛ والمحيط الهادي عُرِفَ بهذا الاسمِ لعدّة سَنَوات بعدئذٍ.

على هذا الشاطئ التقى بهندي كرر له نفس القصة التي قالها له الصبي الهندي عن تلك البلاد الغنية على حدود هذا البحر وأبعد إلى الجنوب.

ثم قرر بالبوا في عقله أن يجد هذه البلاد. وفقاً لذلك عاد إلى دارين، وأرسل كلمة للملك الإسباني لاكتشافه العظيم لبحر الجنوب.

ثمّ بَدأَ بتَفكيك سُفنه، لإرْسالها قطعة قطعة عبر الجبالِ إلى شاطئ المحيط الهادي.

كَانَ هذا مشروعاً هائلاً. الرحلة كَانتْ صعبةً جداً، ومِئات الهنود الفقراءِ الذين حَملوا الأثقال ماتوا مِن الإعياءِ.

في الآخر، بعد أشهر طويلة من العمل، وهكذا نفذت أربع سفن عبر الجبال وأعيد بناؤها على ساحل المحيط الهادئ. وكانت هذه أول السفن الأوروبية التي انطلقت أكثر من أي وقت مضى على البحر الجنوبي العظيم. ثلاث مئة رجل في

استعداد للذهاب مع بالبوا في رحلته بحثاً عن البلد الغني باتجاه الجنوب.

لا تزال هناك حاجة للقليل من الحديد وقليل من الزفت للسفن، وأخّر بالبوا رحيله من أجل الحصول على هذه المواد.

أعطى تأخيره أعداءه الذين كانوا يغارون منه بسبب نجاحه، الوقت لتنفيذ مؤامرة ضده. واتهموه بالتآمر لإقامة حكومة مستقلة من تلقاء نفسه، وتسبب له ذلك أن اعتقل بتهمة الخيانة. في أقل من أربع وعشرين ساعة حُوكِمَ هذا القائد الشجاع وذو المعنويات العالية، وتمت إدانته، وقُطِعَ رأسه. وبذلك انتهت كل خططه الطموحة.

مَـاجِـلّان

فرديناند ماجلان

إن الأجــرأ والأكـثـر تصميماً من بين جميع المستكشفين الأوائـل، كـان (فـرديـنـانـد مـاجـلان Ferdinand Magellan)، شاب برتغالي نبيل. أعرب عن اعتقاده بأنه في مكان ما على هذا الساحل الطويل ـ الـذي قد وصل إليه الكثير من المستكشفين ـ سيجد المضيق الـذي مـن خـلالـه سيكون قــادراً على المرور، والـذي من شأنه أن يؤدي إلى المحيط الهندي، وهكذا شَكَّلَ ماجلان فكرة الدوران حول الأرض.

وتقدم بطلب لملك البرتغال للحصول على مساعدات. ولكن الملك البرتغالي لم يكن راغباً في مساعدته، فذهب إلى إسبانيا، حيث وجدت خطته استحساناً هناك.

الملك الإسباني أعطاه أسطولاً من خمس سفن، وفي 20 سبتمبر/ أيلول من العام (1519م)، أبحر إلى جزر الكناري. واصل الرحلة نحو سيراليون، السفن توقفت لقلة الريح، ولمدة ثلاثة أسابيع تقدموا تسعة أميال فقط. ثم نشأت عاصفة مروعة، والبحارة الذين تذمروا وجدوا عيباً مع كل شيء أثناء الرحلة بأكملها، وافتعلوا تمرداً

مفتوحاً. هذا التمرد قمعه ماجلان بسرعة من خلال القبض على المتسبب والجاني الرئيسي ووضعه في الحديد.

ثم واصل الرحلة، وشوهدتْ أخيراً أرض على الساحلِ البرازيليِ، بالقرب من (بيرنامبوكو Pernambuco).

ثم توجه أسطوله إلى الساحل وصولاً إلى (باتاغونيا Patagonia)، حيث أصبح الطقس بارداً جداً، حتى إنه تقرر تمضية فصول الشتاء وتأجيل ما تبقى من الرحلة حتى الربيع. وقد تم ذلك، وعثر ماجلان على بقعة محمية في ميناء (سانت جوليان St. Julian)، حيث أمكن الحصول على الكثير من الأسماك، وحيث كان السكان الأصليون ودودين جداً.

ووصف ماجلان هؤلاء الباتاجونيين الأصليين بأنهم طويلو القامة جداً، مثل العمالقة، مع شعر طويل منسدل، واكتسوا بالجلود بشكل بسيط.

وقد تحمل أفراد الطاقم المشاق الكبيرة. كان الطعام والماء شحيحين، العواصف كانت شديدة، ومعاناتهم من البرودة كانت حادة. البحارة لا يعتقدون بوجود أي مضيق، وطلبوا من ماجلان الإبحار عائدين للوطن. وكانت تلك المحاولة للتأثير في هذا الرجل المصمم عديمة الفائدة. الخطر جعله أكثر حزماً. وقال لهم ماجلان إنه لن يعود حتى يجد الممر الذي كان يبحث عنه.

ثم اندلعَ تمرّد البحارة ثانية. لكن ماجلان بعملِه العاجلِ والحاسمِ أحبطه في أربع وعشرين ساعة. وقُتِل الجاني، وتم وضع اثنين آخرين في الحديد وتركا لمصيرهما على الشاطئ بينما أبحرت السفن بعيداً.

وحالما ازداد الطقس دفئاً بدأت السفن بالتحرك مرة أخرى جنوباً. وبعد ما يقرب من شهرين من الإبحار، وأكثر من مرة خلال العواصف العنيفة؛ تم العثور على القناة الضيقة التي كانت فيها المياه مالحة. البحارة عرفوا أنه يجب أن تكون هي مدخل المضيق.

كان الطعام نادراً، وتوسل الرجال مرة أخرى لماجلان بالعودة. لكنه رفض بشدة، قائلاً: «سوف أستمر، حتى لو توجب علي أكل الجلد من ياردات السفينة».

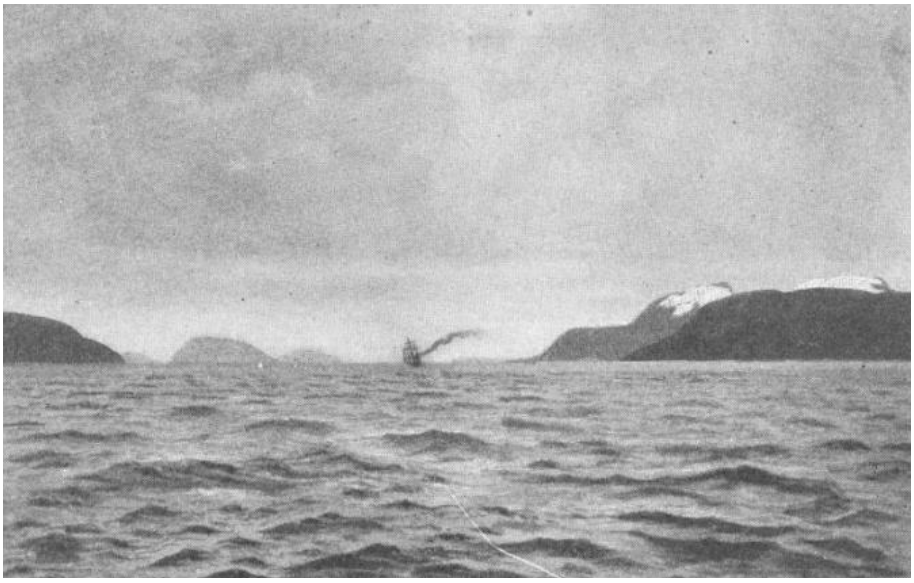

مضيق ماجلان

لذلك دخلت السفن وأبحرت من خلال ممر متعرج، والذي توسع بعض الأحيان بالخروج إلى الخليج ثم أصبح ضيقاً مرة أخرى. وبين التحولات والالتفافات من هذا المضيق المحفوف بالمخاطر، واحدة من السفن، كانت في عهدة قائد المتمردين، هربت وعادت إلى الوراء.

على جانبي الشاطئ كانت هناك جبال عالية، والقمم التي كانت مغطاة بالثلوج، والتي ألقت بظلالها القاتمة على الماء تحتها.

فَكِّرْ بمشاعر الطاقم عندها؛ بعد إبحار خمسة أسابيع من خلال هذه القناة المتعرجة، خرجوا إلى فسحة هادئة من الماء. ماجلان غلبه البكاء، وذرف دموع الفرح. وسمى المياه الواسعة أمامه بالمحيط الهادئ، وهو ما يعني «السلمي»، بسبب مقارنته إياه بالمحيط الأطلسي العنيف والعاصف.

الأسطول أبحر الآن إلى الشمال الغربي إلى مناخ أكثر دفئاً من المحيط الهادئ، وخلال أسبوع بعد أسبوع مر عليهم؛ ولا أرض ظهرت لهم؛ فقد البحارة كل أمل. بدأوا يعتقدون أن هذا المحيط لم يكن له نهاية، وأنهم قد يبحرون بلا توقف وإلى الأبد.

عانى هؤلاء الرجال البائسون كثيراً من نقص الغذاء والماء، ومات العديد منهم بسبب المجاعة. وحينها تذكروا التصريح المتبجح من ماجلان عندما بدأ البحارة حقاً بأكل الجلود من ياردات السفينة، بعد نقعها أولاً في الماء.

بفارغ الصبر نظر هؤلاء الرجال المتعبون المنهكون بحثاً عن علامات على الأرض، وفي الأخير كوفئوا. فقد وصلوا إلى جزر (لادرونـي Ladrone)، وتم الحصول على إمدادات من الخضراوات الطازجة، واللحوم، والفواكه. ومن جزر دي لادروني، أو «جزر اللصوص»، وانطلق الأسطول إلى الفلبين.

هنا عَرفَ ماجلان بأنَّه كَانَ قُرْب المحيط الهندي، وأدركَ بأنّه إذا حافظ على وجهة سيره سيُبحرُ دائراً حول الكرة الأرضيةَ.

وعندما كان «أمير الملّاحين» في إحدى جزر الفلبين، فقد حياته في إحدى المناوشات مع المواطنين المحليين. هو كان كالعادة في غمار المعركة، وبينما كان يحاول حماية أحد رجاله سقط صريعاً برمح أحد المواطنين.

إحدى سُفنه، فيكتوريا، واصلَت الرحلة البحريةَ حول رأسِ الرجاء الصالح، وفي 6/ سبتمبر/ أيلول من العام (1522م)، مَع ثمانية عشر رجلاً مُرهَقين ونصف موتى من الجوع على سطحها، نَجحوا في الوُصُول إلى إسبانيا.

كَانوا قَدْ تحمَّلوا المشاق العظيمة، ولكن الأخبار الرائعة قَلَّلَتْ إلى حدٍ ما من معاناتهم.

وكانت هذه أعظم رحلة، منذ أول رحلة لكولومبوس، والمضيق لا يزال يحمل اسم ذلك الرجل الرائع الذي أدى إلى تحقيق واحد من أكبر المشاريع على الإطلاق التي سجلت في تاريخ الشجاعة وقوة العزيمة.

هذه الرحلة الرائعة لماجلان أثبتت بالدليل القاطع أن الأرض كروية. وأثبتت أيضاً أن أمريكا الجنوبية هي عبارة عن قارة، وأنه لا يوجد هناك ممر جنوبي غربي قصير.

بعد هذه الرحلة حَـوَّل جميع الملاحين انتباههم إلى اكتشاف الممر الشمالي الغربي.

هِيرْنَانْدُو كُورتِيسْ

هيرناندو كورتيس

الإسبان الذين يعيشون على جزيرة هيسبانيولا أرسلوا البعثات المتكررة إلى البرّ الرئيسي أملاً في العثور على الذهب.

(هيرناندو كورتيس Cortes Hernando)، شابٌّ إسبانيٌّ حيويٌّ، مع حبه للمغامرة والجرأة المتهورة التي نادراً ما تُرى، قد أُعطيت له قيادة واحدة من هذه الحملات.

في مارس من العام (1519م)، هبط على ساحل أمريكا الوسطى، مع نحو ستمائة رجل، وعشرة مدافع ثقيلة، وستة عشر من الخيول. هنا وجد كورتيس المواطنين المحتشدين بأعداد كبيرة لمواجهته. وقد خاض معركة شرسة. ولكن الأسلحة النارية من الإسبان خوفت البرابرة، وعندما وصل الفرسان، فَرّ الهنود في رعب. فالهنود، الذين لم يروا الخيول من قبل، اعتقدوا أن الرجل الذي يركب الحصان هو جزء من الحيوان، وأن هذه مخلوقات غريبة تم إرسالها من قبل الآلهة. جعل الخوف الهنود عاجزين لا حول لهم ولا قوة، وكان من السهل لكورتيس حيازة النصر عليهم.

بعد هذا النصر أبحر كورتيس شمالاً على طول ساحل (سان خوان دي أولوا Ulloa de Juan San). وكان أهالي تلك المنطقة سمعوا عن الرجال بيض البشرة والملتحين السحرة الذين اخترق سحرهم الأحياء، وظنوا أن هؤلاء الرجال كانوا آلهة. ولذلك فقد تعاملوا مع الإسبان بطريقة ودية، وقدموا لهم الهدايا من الزهور والفواكه، والخضراوات، وكذلك قدموا الحلي من الذهب والفضة لكورتيس.

هنا هبط كورتيس وأسس مدينة (فيرا كروز Vera Cruz)، وهي إلى اليوم تُعد ميناءً هاماً في المكسيك. الهنود الأصليون في هذا المكان كانوا يسمون (الآزتيك Aztecs). البعض من زعماء القبائل الذين قاموا بزيارة إلى كورتيس، أخبروه بالإمبراطور العظيم (مونتيزوما Montezuma)، الذي كان غنياً وقوياً، والذي عاش داخل البلاد، في مدينة رائعة بنيت في بحيرة.

عن طريق هؤلاء الرؤساء أرسل كورتيس إلى (مونتيزوما)، الياقات، والأساور والحلي، والزجاج، وكرسياً منحوتاً بدقة، وقبعة قرمزية مطرزة. في المقابل، أرسل مونتيزوما الدروع والخوذ، وألواحاً من الذهب الخالص، والصنادل، والمراوح، والحلي الذهبية من صنعة بديعة، جنباً إلى جنب مع جلباب من القطن الرفيع متشابكاً بالريش، صنع بمهارة بحيث أنه يشبه اللوحة. وأعيدت القبعة التي أرسلها كورتيس مملؤة بغبار الذهب.

كما بعث مونتيزوما العظيم برسالة إلى كورتيس، قائلاً فيها: إنه سيكون سعيداً لمقابلة ذلك الجنرال الشجاع، إلا أن الطريق إلى العاصمة المكسيكية كان خطيراً للغاية بالنسبة لجيش يمر من عليها. ووعد أيضاً بالدفع سنوياً للملك الإسباني؛ إذا غادر كورتيس وأتباعه بلاده وتركوه في سلام.

الإسبان كانوا مبتهجين عندما رأوا الهدايا الرائعة. شعروا بأنه من المؤكد أن هذا الإمبراطور العظيم يجب أن يكون لديه ثروة هائلة في حوزته، وعلى الرغم من رسالة التحذير، معظمهم رغب في الانطلاق فوراً للعاصمة المكسيكية. البعض منهم، على أية حال، يعتقد مثل هذا التصرف بالطبع غير حكيم. وقالوا إن مونتيزوما كان من القوة بحيث أنه من العبث أن يهاجموه بقوتهم الصغيرة، ونصحوا بالعودة إلى كوبا لجلب عدد كبير من الجنود.

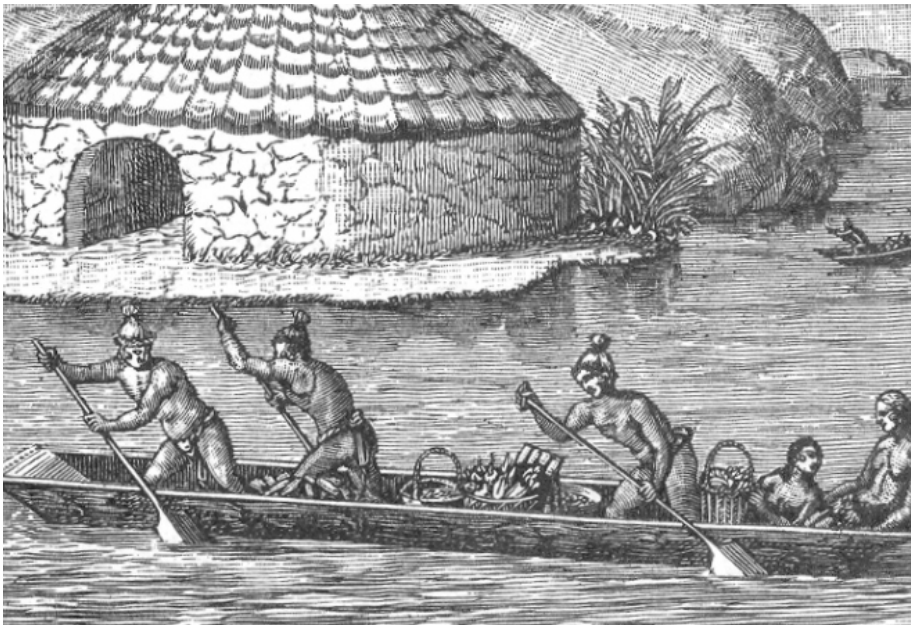

الآزتيك

ولكن كورتيس كانت له أفكاره الخاصة حول هذا الموضوع. فأمر سراً بإغراق سفنه، وبعد ذلك، يجري قطع كل فرصة للتراجع، أقدمت القوة بأكملها نحو المكسيك، في 16/ أغسطس / آب من العام (1519م).

بعد مسيرة طويلة، بدأ الإسبان بالصعود إلى الهضبة التي تقع عليها مدينة المكسيك، ووصلوا أخيراً إلى القمة منها، سبعة آلاف قدم.

وجدوا المناخ على هذه الهضبة المعتدلة ساكناً. الحقول زُرِعَـت، ونمت الزهور البرية الجميلة في وفرة.

وخلال المسيرة قام الإسبان بالمرور على العديد من المدن التي تحتوي على المنازل الغريبة والمعابد. دخلوا العديد من المعابد، فطرحوا الأصنام، واستولوا على الحلي القيمة. أخيراً رأوا في الأفق المدينة التي بنيت في بحيرة الملح. وهناك ثلاث طرق مبنية من الحجارة، تؤدي إليها عبر المياه.

هذه السبل التي كانت أربعة أو خمسة أميال في الطول، ومحروسة على كلا

الجانبين من قبل الهنود في الزوارق. كانت تمر عبر المدينةِ، وتجتمعُ في المركزِ، حيث حُدّدَ موقع المعبد العظيم.

المعبد محاصر بجدار حجري ضخم، ويتضمن عشرين من الأهرامات، كل منها يبلغ مئة قدم في الارتفاع. تقريباً كل المنازل لها اثنان من الطوابق، وبنيت من الحجر الأحمر. كانت الأسقف مسطحة، مع أبراج في الزوايا، وعلى قمة السقوف كانت هناك حدائق الزهور الجميلة.

في هذه المدينة الرائعة زحف كورتيس وأتباعه. تلقى مونتيزوما ضيوفه غير المرغوب فيهم بكل علامات الصداقة، ومع الكثير من البهاء والاحتفال. وحُمِلَ الإمبراطور العظيم على مِحَفَّةٍ، والتي كانت مزينة بالذهب والفضة. النبلاء من حكومته أحاطوا به، واصطف مئات من خدمه في صفٍ وراءه.

اجتماع كورتيس ومونتيزوما

عندما التقى كورتيس ومونتيزوما، وتبادلوا التهاني والهدايا. أول شيء قدمه كورتيس لمونتيزوما هو سلسلة من الخرز الزجاجي الملون، وبالمقابل أعطى حاكم الآزتيك لكورتيس منزلاً والذي كان كبيراً بما يكفي لاستيعاب كل رجاله الإسبان.

التقى هذان الرجلان لمدة عشرة أيام، وتبادلا كل الألطاف الأخرى، كورتيس يتظاهر بأن الصداقة هي الدافع من الزيارة، ومونتيزوما بدا قلقاً ومشوشاً.

أخيراً، أقنع كورتيس الملك مونتيزوما بالذهاب إلى البيت، حيث كَان يقيم الإسبان، وبعد ذلك، عندما حَصلَ عليه هناك، رَفضَ السَماح له بالمغادرة، وهكذا أبقاه سجيناً في مدينتِه الخاصة.

أثارَ هذا الفِعلُ الجريء شكوكَ الآزتيك. ولكن كورتيس استخدم كل ما لديه من الدهاء لخداع هؤلاء الناس البسطاء القلوب وجعلهم يعتقدون أن الإسبان كانوا آلهة. ومع ذلك، فإن الآزتيك بدأوا يشعرون بالمرارة جداً تجاه كورتيس وأتباعه، بسبب قلة الاحترام التي عاملوا بها معابد الآزتيك والآلهة. الإسبان كانوا يرمون بهذه الآلهة من المعابد باستمرار. حتى إلههم العظيم للحربِ لم يكن آمناً.

كورتيس سخر علناً من هذا الصنم، واصفاً إياه بالقمامة، واقترح نصب شعارات الدين الإسباني في مكانه في المعابد الآزتيكية.

وقد كَانَ إله الحربِ الآزتيكي صورة مخيفة من الثعابينِ الذهبيةِ التي ضُفِرتْ حول جسم بشري. الوجه كَانَ قبيحاً، وفي يَده يحمل الصحن التي وُضِعتْ عليها قلوب البشر كأضحيات. ولكن بالنسبة للآزتيك، كانت هذه الصورة مقدسة، وهذه الإهانة، مع العديد من الإهانات الأخرى التي تَعَرَّضَت لها آلهتهم، جَعَلَتِ المواطنين المحليين غاضبين جداً.

ذات يوم اكتشفت الآزتيك أن بعض الإسبان قد ماتوا. فَبَدَّدَت هذه المعرفة الخوف لديهم من أن زوارهم غير المرغوب فيهم، كانوا آلهة، فهاجموا الإسبان بغضبٍ كبير.

لَبِسَ المحاربون الآزتيك صدريات من القُطن المبَطَّن وأغطية الرأس المزينة

بالريش. وحملوا الدروع الجلدية، وحمي الوطيس، وقاتلوا بالأقواس والسهام، والرماح، ووجهوا أسنة الرماح النحاسية، وقذفوا بها. على الرغم من قلّة عدد الإسبان، الذين كانت تحميهم الدروع الواقية، فقد أحدثوا خسائر كبيرة بأسلحتهم وخيولهم.

المعركة بين هذه القوى غير المتكافئة احتدمت بغضبٍ عظيمٍ، ولفترة من الوقت النتيجة كَانتْ مجهولة. كورتيس قام بإرغام مونتيزوما، سجينه، بإظهار نفسه على سطح منزله ومحاولة إقناع الآزتيك بوقف القتال.

الهنود، رغم ذلك، لم يعودوا يخشون إمبراطورهم، وبدلاً من طاعته، جعلوا منه هدفاً لسهامهم وحجارتهم. في خضم المعركة، مونتيزوما العظيم في النهاية سقط صريعاً وقُتِل من قبل أحد رعاياه السابقين.

أطلال الآزتيك

بعد صِراعٍ يائسٍ، أُجْبِرَ الإسبان على التراجع. وفي أثناء هروبهم عبر جسور المدينة تعرضوا لهجوم شنه المقاتلون الهنود في الزوارق، وأكثر من نصف عددهم قُتِلوا.

وعلى الرغم من هذه الهزيمة وفقدان العديد من الرجال، كورتيس لم يتخل عن تصميمه على فتح المكسيك. وقام بعقد تحالف مع القبائل الأخرى المعادية من الهنود، وهاجم المدينة للمرة الثانية.

الآزتيك لديهم ملك جديد الآن، واسمه (غواتيموتزين Guatemotzin)، الذي كان بشجاعة وعزم كورتيس نفسه. قام بالاستعدادات لمواجهة كورتيس، وأثناء

الحصار الرهيب الذي يليه لم يفكر أبداً ولو مرة في الاستسلام أو أن يطلب السلام.

قام الإسبان بالهجوم بعد الهجوم، وكانت المعارك رهيبة، الخسائر فيها من كلا الجانبين كانت كبيرة جداً. خلال واحدة من هذه المعارك كاد أن يقع كورتيس أسيراً، وبدا كما لو أن إله الحرب قد انتقم من الرجل الذي قام بإهانته. لكن شاباً إسبانياً هرع إلى مساعدة كورتيس، وبضربة واحدة من سيفه قطع ذراعي الهندي الذي تَجاسرَ للقَبْض على الزعيمِ الإسبانيِ.

بعد فترة وجد الآزتيك أنفسهم سجناء داخل مدينتهم. وكان الإسبان قد قطعوا جميع وسائل الهروب، والهنود كانوا يتضورون جوعاً حتى الموت. وكانت معاناتهم رهيبة، وتساقط المئات يومياً في الشوارع. رغم ذلك الملك الفخور غواتيموتزين رفض أن يستسلم، وأمر كورتيس بهجوم نهائي. وبعد قتال عنيف تم القبض على الزعيم غواتيموتزين، واستسلم الآزتيك. فديانتهم القاسية، مع آلهتها الغريبة والتضحيات البشرية، أطيح بها الآن.

كورتيس، مع قِلّةٍ من أتباعه، ليسوا أكثر من ألف جندي مدربين، قد نجحوا في فتحِ بلادٍ أكبرَ من إسبانيا. وأكثر من مليون مكسيكي لقوا حتفهم، والبقية الذين بقوا غادروا المدينة وهربوا إلى الجبال.

وبهذه الطريقة تم تدمير حضارة رائعة للمكسيكيين القدماء. تم إرسال حمولات السفن من الكنوز من قبل كورتيس إلى الملك الإسباني (شارل الخامس V Charles)، الذي ابتهج بالمجد الذي اكتسبه لبلاده.

فْرَانْسِيسْكُو بِيْزارّو

فرانسيسكو بيزارو

ومن بين الرجال الذين كانوا مع بالبوا، والذين سمعوا عن البلاد الرائعة للإنكا Incas، كان (فرانسيسكو بيزارو Pizarro Francisco). والذي قرر أن يجد هـذه البـلاد الغنية والاستيلاء عليها.

وقـام بتأمين عصابة من نحو مائتي رجل، مسلحين تسليحاً جيداً والذين امتطوا الخيول القوية، وقادهم على الرغم من المصاعب الرهيبة، فوق الجبال، ومن خلال الوديان، وعبر الهضاب إلى (كاجاماركا Cajamarca)، المدينة التي كان يقيم فيها الإنكا، وملكهم.

حدَّق المواطنون في الإسبان في تعجب ورهبة. اعتقد هؤلاء الناس البسطاء أن هؤلاء الغرباء البيض الوجوه الملتحين، الذين حملوا الصواعق في أيديهم، والذين ركبوا مثل هذه الحيوانات المخيفة المظهر، كانوا آلهةً. على الرغم من خوفهم، استقبل الهنود هؤلاء الغرباء بلطفٍ، وقدموا لهم الطعام والمأوى.

في ذلك المساء، بيزارو ومعه دي سوتو، آخذين معهم خمسة وثلاثين فارساً، قاموا بزيارة الإنكا ورتبوا معهم اجتماعاً في اليوم التالي في ساحة مفتوحة. كانت زيارة غريبة. الإنكا كانوا محاطين بعبيدهم وزعمائهم، وكان مهذبين جداً حيال هؤلاء الغرباء.

لكن الإسبان بدأوا يشعرون بعدم الارتياح. جيش متكوّن من آلافِ الهنود عسكر على بُعد ميلين فقط، وبالمقارنة مع ذلك، رجال بيزارو المائتين بدوا ضعفاء. هذا الوضع الذي عليه الإسبان، إذا قرر الإنكا معارضتهم، فسيبدو ذلك بلا أمل.

بيزارو بالكاد نام في تلك الليلة. ظل مستيقظاً ويخطط لطريقة يستطيع بها أن يأخذ ملك الإنكا أسيراً.

في اليوم التالي، وحوالي الظهر، اقترب الموكب الهندي من السوق. جاءَ المرافقون أولاً الذين مهّدوا الطريق؛ ثم أعقبهم النبلاء والرجال من ذوي الرتب العالية، وقد لبسوا بفخامة، وتغطوا بالحلي من الذهب والأحجار الكريمة. وجاء آخر موكب الإنكا، الذين يحملون العرش من الذهب الخالص، والذي شُذِّبَ بشكل رائع بريش الطيور الاستوائية.

وارتدى الملك الهندي الملابس الفخمة وتزين بالحلي الذهبية، وحول عنقه كان طوق من الزمرد الرائع من الحجم الكبير والمتألق. أخذ موقعه بالقرب من وسط الميدان، مرافقوه الذين يبلغ عددهم عدة آلاف تجمعوا حوله.

نَظْر حوله، أخفقَ ملك الإنكا في رُؤية أيّ مِنْ الإسبان.

وسَألَ: «أين الغرباء؟».

عندئذٍ القسيس بيزارو، مع الكتاب المقدس في يده، اقترب من ملك الإنكا. وقال: إنه وشعبه كانوا قد أرسلوا من قبل أمير عظيم ليسألوا الإنكا قبول الدين الحق، وأن توافق على أن تكون تابعاً للإمبراطور العظيم، شارل الخامس، والذي عندئذٍ سيحميكم.

ملك الإنكا ازداد غضبه من هذا الكلام، وأعلن أنه لن يغير إيمانه ولن يكون

تابعاً لأي رجل. ثم ألقى بسخطٍ بالكتاب المقدس على الأرض، وطالب بترضيةٍ له من الإسبان على هذه الإهانة له.

في هذا الوقت أعطى القسيس إشارة، وهرع الإسبان من مخابئهم وهاجموا الهنود المذعورين. ملك الإنكا ومرافقوه كَانوا غير مستعدين كليةً، كونهم غير مسلحين، وعُزّل تماماً.

الإسبان حملوا عليهم، ولم يظهروا أي رحمة، سيوفهم تقطع يميناً ويساراً، والخيول تقفز عليهم وتدوس على الهنود تحت أقدامها. البنادق والأسلحة النارية للإسبان صنعت الخراب والفوضى التي أرعبت الهنود، فلم يبدوا أي مقاومة. في الواقع، لم يتمكنوا من أي محاولة.

على مقربة من ملك الإنكا كان الصراع عنيفاً. الهنود الأوفياء سقطوا عن

الإسبان يهاجمون حرس ملك الإنكا

آخرهم فداءً للعاهِل المحبوب، فقد رموا بأنفسهم أمامه، يحمُونه بأجسادهم العارية من سيوف الإسبان. أخيراً، ومع اقتراب الليل، الإسبان، خوفاً من أن يهرب ملك الإنكا، حاولوا قتله.

لكن بيزارو كان يرجو أن يأخذه على قيد الحياة، وبصوتٍ عالٍ أمر أتباعه بأنهم، كما يقدرون حياتهم الخاصة، ألا يضربوا ملك الإنكا. وامتدت ذراعه لإنقاذ الملك، وتَلَقَّى بيزارو جرحاً في يده، وكان هذا الجرح الوحيد الذي تلقاه إَسباني منذ الهجوم.

في الأخير سقط ملك الإنكا من على عرشه، وسقط على الأرض، تم القبض عليه من قبل بيزارو. وبعد ذلك سجن ووضع تحت حراسة قوية. حالما انتشر خبر أسر ملك الإنكا، كل المقاومة قد توقفت. وهرب العديد من الهنود إلى الجبال، وتركوا ثروة لا توصف تحت تصرف الغزاة، في حين بقي آخرون، على أمل أن يكونوا قادرين على مساعدة حاكمهم الذين وقع في الأسر.

وحالما حانت الفرصة لملك الإنكا، حاول التفكير في وسيلة للحصول على حريته.

كانت الغرفة التي يُحتجز فيها تبلغ اثنين وعشرين قدماً في الطول، بمقابل سبعة عشر قدماً في العرض. رفع يده عالياً بقدر ما يستطيع، وضع ملك الإنكا علامة على الحائط، وأخبرَ بيزارو بأنَّ ذهباً بما فيه الكفاية لِمَلء هذه الغرفةِ إلى تلك العلامةِ سيعطيه له كفدية لإطلاقِ سراحه.

وافق بيزارو على هذه الصفقة، وبدأ الأهالي بإرسال الذهب إلى ملك الإنكا لتأمين الإفراج عنه. تم دفن بعض من الكنوز في المعابد خفية من جانب الكهنة. ولكن تم جمع الحلي بجميع أنواعها، والمزهريات، والصحون، وخلال بضعة أشهر قليلة جمعوا من الذهب كمية تصل إلى خمسة عشر مليوناً من الدولارات في أموالنا الآن، وقُسِّمت بين الإسبان.

شُحِنت الملايين من الـدولارات من الذهب والفضة إلى إسبانيا، والأمة الإسبانية ازدادت ثراءً. بيزارو نفسه عاد إلى إسبانيا ليمنح لشارل الخامس نصيبه من

النهب. أثناء غياب بيزارو تسبب الإسبان بقتل ملك الإنكا، على الرغم من الفدية الكبيرة التي كانوا قد قبلوها.

ازداد الشعب الإسباني ثراءً، وأصبحوا أكثر إهمالاً في تعاملهم مع الدول الأخرى، وتلك التي تحت حكمهم. إنهم ازدادوا قسوة وأصبحوا بلا رحمة وأكثر جشعاً للذهب. فقد توافدوا بأعدادٍ كبيرةٍ إلى أمريكا الجنوبية، في حشود غير مسبوقة مغامرة ومتهورة، وعلى استعداد لارتكاب أي جريمة من أجل الحصول على الذهب.

فِرْدِيْنَانْد دِي سُوْتُو

فرديناند دي سوتو

من بين الرجال الذين كانوا مع بيزارو في (بيرو Peru)، (فرديناند دي سوتو Soto de Ferdinand)، وهو فارسٌ إسبانيٌ جريء وجسور.

عُيِّن دي سوتو حاكماً لكوبا في العام (1537م)، وحصل في نفس الوقت على إذن من الملك الإسباني لفتح فلوريدا. هذا الإذن بغزو فلوريدا استلمه دي سوتو بفرحة كبيرة. وقال مؤكداً أن في المناطق الداخلية من ولاية فلوريدا، كانت هناك مدن كبيرة وغنية مثل البيرو. وكان بالنسبة له، فتح هذه المدن والحصول على كنوزها، وكسب الغنى والشهرة لنفسه، هو حلم دي سوتو.

الغريب كما قد يبدو لك، أن دي سوتو أيضاً كان حريصاً على تحويل المواطنين إلى دينه. وهو ينوي أن يأخذ منهم كل ممتلكاتهم، لكنه يهدف إلى توفير أرواحهم، إذا كان ذلك ممكناً.

لذا، ترك زوجتَه الصغيرة والجميلة (إيزابيلا Isabella) لحُكْم كوبا في غيابِه،

دي سوتو، في مايو/ أيار لعام (1539م)، بَدأَ بالإبحار من (هافانا Havana) بتسع سُفُن، وحوالي ستّمائة رجل، ومئتين وثلاثة وعشرين حصاناً.

بعد رحلة آمنة، هبطت البعثة على ساحل فلوريدا، في خليج (تامبا Tampa). قبل البدء في مسيرة إلى المناطق الداخلية من البلاد، أرسل دي سوتو جميع السفن إلى (كوبا Cuba). وبهذه الطريقة خفض من كل أمل في التراجع، وفي حال يصبح الرجال يائسين، لا أحد يعتقد بأنهم يريدون العودة الآن. ولكن كان الجميع في حالة معنوية عالية.

وارتدى الجنود الأزياء الرسمية الرائعة، وتزينوا بقبعاتهم مع الريش المتموج، ودروعهم الملمعة تألقت وبرقت في ضوء الشمس.

في المجموعة كان هناك اثنا عشر كاهناً، والذين كانوا يتوقعون تحويل الأسرى الذين ينوي دي سوتو تحويلهم إلى النصرانية. الإسبان يحملون معهم سلاسل لتأمين هؤلاء السجناء، وكلاب الأثر لتعقب أي منهم في حالة الهرب.

وكانوا مجموعة من الشباب الذين زحفوا إلى داخل فلوريدا يقفزون بالخيول وهم يلوحون بالأعلام واللافتات، وقرع الطبول.

في بادئ الأمر زحف دي سوتو مباشرة نحو الشمال، هبط في برية ثبت أنها غير سالكة تقريباً. البلاد كانت مليئةً بالمستنقعات، والتي بالكاد أن تسافر الخيول من خلالها. الأشجار الكبيرة رُبِطتْ سوية بالكروم المتشابكةِ؛ وجذورها التي برزتْ مِن الأرضِ، كَانتْ مثل الفخاخِ، تمْسكُ بأقدامَ المشاة وترميهم على الأرض.

وإلى جانب كل هذا، الأمتعة الثقيلة التي يحملها الرجال والخيول، شكلت وزناً ثقيلاً عليهم وجعلت من الرحلة شبه مستحيلة.

دي سوتو، رغم ذلك، أبقى عليها بشجاعة، وشجع رجاله بكل ما في وسعه، ووصل في نهاية المطاف إلى نهر (ساڤانا Savannah). هنا قام بتغيير مساره إلى الغرب، على أمل العثور على الذهب في هذا الاتجاه.

أسبوعاً بعد أسبوع، وشهراً بعد شهر، سافر الإسبان على طريق برّية كثيفة، وتحملوا المشاق العظيمة، ولم يجدوا شيئاً سوى قبائل الهنود المعادية.

سأل دي سوتو أحد زعماء الهنود، أن يعطيه عدداً كافياً من العبيد لحمل أمتعته عبر الغابة. رفض الزعيم. عندها هاجم دي سوتو ورجاله القبيلة وأخذوا الكثير من السجناء. هؤلاء السجناء قام دي سوتو بربطهم بالسلاسل معاً ووضعهم أمام البعثة، حيث جعلوا للعمل كمرشدين وكذلك كعبيد.

ثم سأل دي سوتو الهنود عن المدن الكبرى حيثما تكون كنوز الذهب والفضة. قال هندي واحد إنه لا يعرف أياً منها. هذا الرد دعى دي سوتو إلى أن ينفذ فيه حكم الإعدام مع التعذيب المخيف. هذا التصرف جعل الهنود غير صادقين، وأخبروا دي سوتو قصصاً كثيرة مختلفة عن الأماكن التي يعتقد أنه يمكنه العثور على الذهب فيها.

لذا تجولت الحملة، وبحثوا عن الذهب الذي لم يعثروا عليه قط. وازداد الرجال إحباطاً وفقدوا الثقة، واشتاقوا للوطن.

قبائل الهنود الغاضبة من المعاملة القاسية من الإسبان، هاجموهم في كثير من الأحيان، ودي سوتو ورجاله بالكاد تمتعوا باستراحة مسالمة في الليل. الإسبان كانوا غير متعودين على الحرب الهندية، وكانوا لا يضاهونهم سرعة، الهمج الفطنون الذين انحدروا من خلال الغابات بصمت وبسرعة. هؤلاء الهنود لم يتقدموا لفتح معركة، ولكن اختبأوا وراء الحجر والشجر، وكانوا نادراً ما يظهرون. فقط اثنان أو ثلاثة يظهرون فجأة، ويرسلون وابلاً من السهام على الإسبان، ومن ثم يندفعون عائدين بعيداً مرة أخرى إلى الغابة. الهنود نادراً ما يغيبون عن هدفهم، والإسبان لا يعرفون عندما يكونون قربهم.

ذات يوم قَبض دي سوتو على بعض الهنود الذين قالوا إنهم يعرفون أين يكون الذهب موجوداً، وأنهم سوف يبينون له الطريق إلى المكان. دي سوتو قليلاً ما يثق بهم، ولكن سمح لهم بقيادة الطريق. أوقع الهمج الماكرون الإسبان في كمين، حيث هاجمهم الهنود الآخرون بعنف، ما أسفر عن مقتل خيولهم وكثير من رجالهم.

زحف دي سوتو خلال الغابة

عقاباً لهم على هذا الفعل، أمر دي سوتو بهؤلاء الهنود أن يمزقوا إلى أشلاء بواسطة كلاب الأثر.

في بعض الأحيان، يقوم الإسبان أثناء تنقلهم باجتياز معسكرات الهنود الذين تجمَّعوا حول نارٍ كبيرةٍ، يغنون، ويرقصون، ويصيحون، وتحت ستار هذا الضجيج من صرخات الحرب الهندية الرهيبة، يَنْسَلُّ الإسبان في هدوءٍ مبتعدين، ومتجنبين الهنود لبعض الوقت.

أخيراً، بعد تجول لمدة عامين، جاء دي سوتو، في العام (1541م)، إلى شاطئ نهرٍ كبير. وكان هذا النهر واسعاً وموحلاً، وكان تياره قوياً بحيث جلب الكثير من الأخشاب العائمة معه. عرف دي سوتو من الهنود أنه كان يُطلق عليه (ميسيسيبي Mississippi)، أو «أبُ المياه».

ووَصلَه قُرْب البقعةِ حيث تَقِفُ مدينة (ممفيس Memphis) الآن، وهنا توقفت مجموعته ونصبوا خيامهم.

دي سوتو يكتشف نهر الميسيسيبي

في هذا المكان بنى الإسبان الطوافات، وقطعوا القيود من أسراهم من أجل استخدام الحديد للمسامير، وهكذا عبروا النهر. وتَمنّوا بهذه الطريقة الهُروب مِنْ خصومِهم المتوحشين؛ لكن على الجانبِ الآخرِ للنهرِ وَجدوا الهنود الذين كَانوا عنيفين.

لذلك سافر الإسبان جنوباً، على أمل اتباع مجرى النهر ليصلوا إلى البحر. سرعان ما وجد دي سوتو أن هذا من المستحيل، كما أن البلاد البرية كانت من الكروم المتشابكة والجذور، وأتباعه لا يمكنهم عبور العديد من الجداول والأنهار الصغيرة التي تدفقت إلى نهر الميسيسيبي. الخيول تحركت خلال هذه البلادِ بصعوبة، وفي أغلب الأحيان تغرق في الماءِ. ورأى كُلّ يوم الفرقة الصَغيرة تزداد قلة في العدد.

أخيراً عادوا إلى ضفاف النهر، والاسترشاد مرة أخرى بواسطة خيولهم. فقد الرجال طريقهم في الغابة المخيفة، ولكن غريزة الحيوانات النبيلة وجهتهم بشكل صحيح.

الطعام كان يزداد ندرة، ودي سوتو نفسه أخذه المرض. كان يعلم أنه إذا لم يقم بشيء قريب يجعل الهنود يساعدونهم، فالجميع سيموتون. فأرسل كلمة للزعيم الهندي قائلاً: إنه كان ابن الشمس، وأن جميع الرجال يطيعونه. وبعد ذلك أعلن أنه يريد صداقة الزعيم، وأمره أن يحضر له الطعام.

ورد الزعيم عليه بكلمة: أَنَّه إذا تسبَّبَ دي سوتو في جفاف النهر فإنه سيثق به. وهذا الشرط، بالطبع، دي سوتو لا يستطيعُ أَنْ يفعله.

أعرب عن خيبة أمله وثبوط عزيمته في عدم القدرة على الحصول على الغذاء. والمرض الذي كان يعاني منه ازداد سوءاً، وتوفي دي سوتو بعد ذلك بوقت قصير.

وكان أتباعه حريصين على إخفاء وفاته عن الهنود الذين كانوا يخشونه كثيراً. لذلك وضعوا جثته في جوف جذع شجرة، وأغرقوه في منتصف الليل في الماء.

أولئك من أتباعه الذين خلفوه قرروا في محاولة للوصول إلى الوطن، اتباع النهر إلى مصبه. وكان هؤلاء الرجال في حالة بائسة. ذهب ما يقرب من جميع ملابسهم. وبِضْعَة منهم كَانَ عِنْدَهُم الأحذيةُ، والكثير كَانَ عِنْدَهُمْ فقط جلودُ الحيواناتِ والحصرانِ التي صُنعتَ من كرمات برّية لإبْقائهم دافئينَ. بنوا سبعة مراكب واهية وأبحروا أسفل نهر الميسيسيبي، وتجنبوا الهنود على طول الطريق، وفي سبعة عشر يوماً وصلوا إلى خليج المكسيك.

في خمسين يوماً نَجحوا في الوُصُول إلى مستوطنة إسبانية على ساحلِ المكسيك، أينما هم استقبلوا بالكثير من الفرح.

مجموعة الشباب من (620) الذين جاؤوا مع هذه الآمال العالية، عاد منهم ثلاثمائة وأحد عشر رجلاً فقط.

نَهْرُ الأَمَازُونِ الْعَظِيْمِ، والإِلْدُوْرَادُو

كما قد يتصور البعض، كان هناك حماس وفضول عظيم في إسبانيا، بعد رحلات كولومبوس، حول الأراضي الجديدة ما وراء المحيط الغربي.

وكان العديد من الرجال الذين قد أبحروا مع كولومبوس على استعداد للقيام برحلات جديدة للاكتشاف. وكان من بينهم البحار (يانيز بينسون Pinzon Yañez).

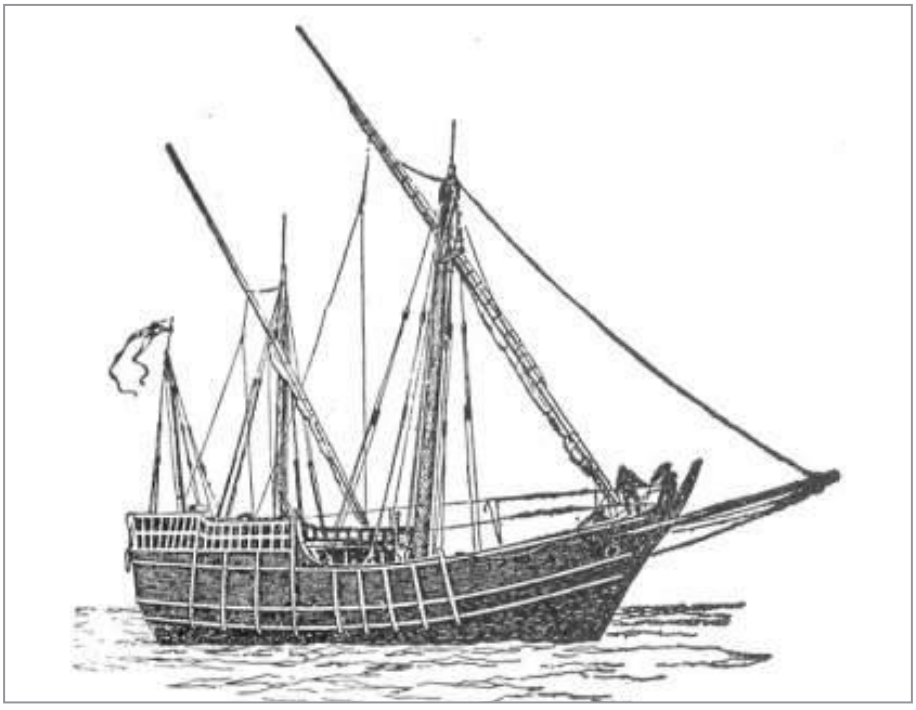

نينيا

ولعلكم تذكرون أنه عندما قام كولومبوس برحلته الأولى انطلق مع ثلاث سفن. كانت واحدة من هذه السفن السفينة (نينيا). التي تم قيادتها من قبل يانيز بينسون.

بعد أن عاد كولومبوس من رحلته الثانية، نجح يانيز بينسون في تجهيز أسطول للذهاب إلى العالم الجديد.

في العام (1499م) أبحر مع أربعة مراكب من ميناء بالوس، وهو نفس الميناء الذي أبحر منه كولومبوس. اتخذ بينسون معه بعض البحارة الذين كانوا مع كولومبوس، وأيضاً مرشديه الثلاثة الرئيسيين. وكان هؤلاء المرشدون الرجال الذين فهموا كيفية استخدام (الإسطرلاب)، والإخبار بوجهة سير السفينة في عرض البحر.

أسطول بينسون أبحر نحو الكناري وجزر الرأس الأخضر، وبعد اجتيازه منهم كان مساره جنوب غرب عبر المحيط الأطلسي. أخيراً عبر الأسطول من خط الاستواء، وكان بينسون المستكشف الأول لعبور الخط في غرب المحيط الأطلسي.

أبحر الأسطول على ما يقرب من خمسمائة ميل إلى الجنوب. هنا التقى بينسون بعاصفة مروعة، والتي وصلت قريباً جداً من إرسال أسطوله كله إلى أسفل القاع. وكان غير بعيد عن الساحل، وبعد مرور العاصفة اكتشف الأرض. أثبت أن الأرض تكون في أقصى شرق أمريكا الجنوبية. وكان ذلك في شهر يناير، من العام (1500م).

بينسون ومجموعة من رجاله نزلوا إلى اليابسة. ولم يبقوا طويلاً، على أية حال، كما أنهم وجدوا الهنود عدوانيين جداً. فالهنود هاجموا الإسبان وقتلوا العديد منهم. كانوا غاضبين جداً لدرجة أنه بعد مطاردة الإسبان إلى قواربهم، خاضوا في البحر وقاتلوا للحصول على المجاذيف. أَسرَ الهنود أحد زوارقِ التجديف، لكن الإسبان وصلوا أخيراً إلى سُفُنِهم.

ثم أبحر بينسون وقاد سفنه شمالاً على طول الساحل.

عندما جاء أسطوله بالقرب من خط الاستواء، لاحظ أن المياه كانت جديدة

جداً. وبناءً عليه فقد أعطى أوامره لملء براميل المياه لأسطوله. نضارة مياه البحر أدت به للإبحار نحو الشاطئ.

أخيراً اكتشف أين جاءت هذه الكمية الكبيرة من المياه العذبة. إنها تدفقت من مصب النهر الكبير.

وكان مصب نهر الأمازون، وحجم ذلك الماء الذي يصب في البحر عظيم جداً، ولاحظ أن التيار في المحيط يبلغ مائتي ميل من الشاطئ.

هذه الحقيقة لا تثير الاستغراب عندما نعلم أن المصب الرئيسي من هذا النهر العظيم يبلغ خمسين ميلاً عرضاً، وهذا النهر هو أربعة آلاف ميل طولاً، بما في ذلك التفافاته، وأنه، إلى جانب العديد من الفروع الأصغر، لديه خمسة روافد، كل على الألف ميل طولاً، وأحدها أكثر من ألف ميل طولاً، تتدفق فيه.

بينسون رسى بسفينته في مصب النهر، ووجد المواطنين مسالمين. وفي هذا الصدد كانوا يختلفون عن أولئك الذين كان قد التقى بهم في أقصى الجنوب. خرجوا لسفنه بطريقة ودية في الزوارق. ولكن بعد ذلك بوقت قصير، عندما كان بينسون يغادر النهر، كان يحمل معه بالقوة ستة وثلاثين من الهنود الذين كانوا في السابق ودودين معه.

وفي حين كان أسطول بينسون في مصب النهر، كان للمرة الثانية على وشك أن يتحطم.

كان بينسون، بطبيعة الحال، في مياه غريبة. لم يكن يعرف أنه مرتين في كل شهر يرتفع المد ولكن ليس بالطريقة المعتادة، بل يندفع حتى مصب نهر الأمازون بقوة شديدة. المد والجزر، كقاعدة عامة، حوالي ست ساعات في الارتفاع وست ساعات في الهبوط. أما في مصب نهر الأمازون، على كل حال، في القمر الجديد وفي البدر يتضخم المد إلى الحد الأقصى له في دقيقتين أو ثلاث دقائق. كما أنه يأتي بجدار من المياه، بارتفاع اثني عشر أو خمسة عشر قدماً، يليه جدار آخر بنفس الارتفاع. في كثير من الأحيان يكون هناك جدار ثالث من المياه، وفي بعض فصول السنة يكون هناك الجدار الرابع.

هذا الارتفاع الغريب للمد والجزر يدعى بالثقب. ضجيج هذه الفيضانات المتسارعة يمكن سماعه من مسافة خمسة أو ستة أميال. لأنه يأتي بقوة هائلة، ويقتلع الأشجار الكبيرة أحياناً على طول الضفاف. خلال أيام قليلة عندما يندفع التيار فوق النهر بهذه الطريقة لا يمكن للسفن أن تبقى في القناة الرئيسية، ولكن ترسو في الخلجان والأماكن المحمية.

بينسون، كما قلنا، لم يكن يعرف شيئاً عن هذا الارتفاع المفاجئ في المد والجزر. كان أسطوله راسياً في القناة الرئيسية عندما جاء الثقب، وضرب سفنه بعنف كأنها قوارب لعب وحطمها تقريباً.

بعد إصلاح الأضرار التي لحقت بأسطوله، اتخذ قراره بأن الذهب الذي يمكنه العثور عليه في تلك الأجزاء قليل، ولذلك أبحر من مصب النهر الكبير، ثم تحول إلى الشمال على طول الساحل.

المشهد على نهر أورينوكو

قد يكون من المهم معرفة ما لاقاه بينسون بعد خروجه من فم نهر الأمازون. نحن سوف نخبرك باختصار.

أبحر على طول الساحل في الشمال الغربي، وعبر مصب (أورينوكو Orinoco)، نهرٌ كبيرٌ آخر في أمريكا الجنوبية. نحو مئة وخمسين ميلاً وراء أورينوكو، دخل على الخليج ونزل. وهنا قطع كمية كبيرة من الخشب البرازيلي ليأخذه معه عند العودة إلى إسبانيا.

ثم أبحر لجزيرة هيسبانيولا، التي تسمى الآن (هايتي Haiti). من هذه الجزيرة أبحر إلى جزر (بهاما Bahama).

في شهر يوليو/ تموز عندما وصل إلى جزر البهاما. جاء سوء الحظ مرة أخرى إلى أسطوله. فبينما كانت السفينة راسية في جزر البهاما جاء إعصارٌ متصاعد، واثنتانِ مِنْ سُفُنِه غَرِقتا. وتم نسف ثالثة إلى البحر. اجتازتْ السفينةُ الرابعةُ العاصفة، ولكن الطاقم ظنوا أنها سوف تغرق في كل الأحيان، فخرجوا في قواربهم الصغيرة وأخيراً وصلوا إلى الشاطئ. وعندما نزلوا إلى اليابسة جاء إليهم الهنود، وأظهروا لهم الود والمعاملة الحسنة.

بعد انتهاء الإعصار، والسفينة التي كانت قد جنحت إلى البحر عادت أدراجها. وفي أقرب وقت بينما كان البحر يعود إلى هدؤه بشكل كافٍ، ركب بينسون ورجاله على متن السفينتين المتبقيتين وأبحروا إلى هيسبانيولا.

في هيسبانيولا قام بإصلاح السفن، ثم أبحر عائداً إلى إسبانيا. وصل بالوس في شهر سبتمبر.

بعد حوالي ثلاثة أشهر من إبحار بينسون بعيداً عن مصب نهر الأمازون، تمت زيارته أيضاً من قبل ملّاح برتغالي اسمه (كابرال Cabral). على الرغم من أن البرتغاليين لم يحالفهم الحظ لاكتشاف أمريكا، إلا أنهم كانوا نشطين جداً في تحقيق اكتشافات لمدة سبعين عاماً وأكثر من ذلك قبل رحلة كولومبوس الأولى.

في العام (1420م) اكتشفوا جزر (مادیرا Madeira). وفي العام (1432م)

اكتشفوا جزر (آزور Azore)، التي تقع على مسافة ثمانمائةِ ميلٍ غرب البرتغال في المحيط الأطلسي. وكانت سُفنهم، مِن وقتٍ لآخَرَ، تندفع أبعد وأبعد على طول الساحل الغربي لأفريقيا. في منتصف القرن ما لا يقل عن واحد وخمسين من مراكب (الكاراڤيل caravels)، كانت في ساحل غينيا، أو الساحل الذهبي، كما كان يُطلق عليه في كثيرٍ منَ الأحيان. وفي العام (1484م)، قبل ثماني سنوات من اكتشاف كولومبوس لأمريكا؛ اكتشفوا مصب نهر الكونغو على الساحل الأفريقي.

فليس من المستغرب إذاً، أن يقوم الملّاحون بالعبور عبر المحيط الأطلسي مباشرةً، بعد أن أرشدهم كولومبوس إلى الطريق.

ولكن على الرغم من أن كابرال أبحر على طول الساحل البرازيلي كله، وأخذ ملكيته باسم ملك البرتغال، فهو لم يعرف أي شيء إضافي حول النهر الكبير عند المصب الذي رسى فيه؛ مما كان قد عرفه بينسون. ولو كان انتظر بضعة أشهر، أو عاد إلى النهر، لكان من السهل عليه استكشاف مساره. من يوليو/ تموزِ إلى ديسمبر/ كانون الأولِ من كُلّ سَنَة، تَهب الريحُ الشرقيةُ بثبات فوق الأمازونِ، وقام كابرال بنشر أشرعته وأبقاها منشورة بحيث أبحر على النهر لمسافة ألف ميل أو أكثر إلى السفوح الشرقية للجبال الكبيرة من جنوب أمريكا، و(الأنديز Andes).

استكشاف الأمـازون، على أية حال، وقع من نصيب رجل آخر، بالتحديد (فرانسيسكو أوريلّانا Orellana Francisco). أوريلّانالم يُبحر على النهر من مصبه، ولكنه نزل من أحد مصادره. كان هذا في العام (1540م)، وكما ترون، بعد سنوات عديدة من بينسون وكابرال؛ كان قد رسى في مصب النهر.

كان أوريلّانا واحداً من رجال بيزارو، وكان معه عندما أسر ملك الإنكا في البيرو، وقُدِّم بعد ذلك للقتل. كان فرانسيسكو بيزارو، كما تعلمون جيداً، هو الذي فتح البيرو. وبعد أن فتح فرانسيسكو بيزارو البلاد، جعل شقيقه (جونزالو بيزارو Pizarro Gonzalo)، حاكماً على (كويتو Quito).

هذا الأخ، حينما كان في كيتو، جعل تفكيره كله في عبور جبال الأنديز

واستكشاف البلاد إلى ما بعدها. لذا قام بإعداد بعثة، وجعل أوريلّانا مساعداً له. وبالتالي،كان أوريلّانا، هو الرجل الثاني في قيادة الحملة.

الجيش يتكون من ثلاثمائة وخمسين من الإسبان، وأربعة آلاف من الهنود، وألف من كلاب الأثر لملاحقة السكان المحليين.

كانت مسيرتهم صعبة على جبال الأنديز، وعانوا كثيراً في أثناء العبور. وعندما كانوا فوق الجبال، اكتشفوا نهراً يتدفق نحو الجنوب الشرقي. وكان هذا هو نهر (نابو Napo).

وكان لدى بيزارو صعوبة في المسير عبر جبال الأنديز، حيث شعر بأن رجاله لا يمكنهم المقاومة لتحمل العودة من نفس الطريق. ولذلك فقد نزل على نهر نابو، وقضى سبعة أشهر في بناء سفينة لحمل أمتعته ورجاله المرضى.

قام بوضع أوريلّانا مسؤولاً عن السفينة، وأمره أن يتحرك ببطء أسفل النهر، بينما سار الجزء الآخر من الجيش على طول الشاطئ. وكانت مسيرة بطيئة جداً وشاقة، وبعد بضعة أسابيع بدأ الطعام بالنفاد.

في هذا الوقت سمع بيزارو عن بلد غني يقع أبعد قليلاً أسفل النهر، حيث يصب نهر نابو في نهر أكبر منه. تمنى الوصول لهذا البلد. فأرسل أوريلّانا في السفينة، ومعه خمسين جندياً، أسفل نهر نابو إلى النهر الأكبر. حيث سيحصل أوريلّانا هناك على الغذاء والإمدادات للجيش، ومن ثم يعود.

بيزارو انتظر وانتظر عبثاً عودة أوريلّانا، وأخيراً كان هو ورجاله، لابد لهم من أن يجدوا طريقهم مرة أخرى عبر جبال الأنديز مع طعامٍ ضئيلٍ ومشاقٍّ كبيرة.

أما أوريلّانا والجنود الذين معه، فقد حملهم التيار بسرعة شديدة أسفل نهر نابو، وفي ثلاثة أيام جاؤوا إلى النهر الكبير. كان بالفعل هو نهر الأمازون العظيم، وكان المكان الذي تدفق فيه نهر نابو يبلغ حوالي الميل في العرض.

أوريلّانا توقع أن يجد هناك العديد من الناس وكمية وافرة من الغذاء. غير أنه وجد برية قاحلة فقط. وكانت تقريباً تشبه البلاد التي نزل بيزارو وجيشه فيها.

أوريلّانا بالكاد تمكن من الحصول على الغذاء لنفسه والرجال الذين معه، وأقل من ذلك بكثير بما فيه الكفاية لبيزارو وجيشه. في العودة ضد التيار السريع ستكون المهمة ثقيلة. بعد التفكير في الأمر، قرر أن يتبع مسار النهر الكبير إلى البحر. ولكن يجب عليه أولاً أن يكسب تأييد الجنود الذين كانوا معه لخطته. وسرعان ما نجح في ذلك، وبدأوا بالنزول أسفل الأمازون.

لم تكن الرحلة سهلة. فهو وجنوده قد عانوا كثيراً. ولكن في أغسطس/ آب من العام (1541م)، وبعد سبعة أشهر من المصاعب، وصلوا إلى المحيط، وبعد وقت قصير من هذا أبحروا إلى إسبانيا.

عندما وصل أوريلّانا إلى إسبانيا، قدم وصفاً براقاً لبلادٍ مدهشةٍ، غنية بالمعادن الثمينة، والتي قد مَرَّ بها. ووفقاً لروايته؛ كانت أغنى بالذهب أكثر من البيرو.

وأُطلق اسم (الإلدوراد وDorado El) «الذهبي»، على هذه البلاد الأسطورية. ولمدة عشرين أو أكثر بسنين بعد أن أخبر أوريلّانا بقصته، بُذِلت الجهود للعثور عليها. الحملة بعد الحملة تحددت بحثاً عن الإلدورادو. المستكشف الذي يدعى (فيليب فون هوتين Hutten von Philip)، الذي قاد فريقاً باتجاه الجنوب إلى داخل البلاد من الجزء الشمالي لأمريكا الجنوبية، اعتقد أنه قد وقع نظره على مدينة تلألأت جدرانها الذهبية من مسافة بعيدة. لكنه لم يصل إلى تلك المدينة المتلألئة التي ظن أنه رأها، ولا كانت بلاد الإلدورادو الأسطورية موجودة أبداً.

ڤيـرَّازَّانُــو

فيرازانو

كان (ڤيرازانو Verrazzano) من مواليد فلورنسا، إيطاليا، وقُرصاناً مثله مثل العديد من البحارة الآخرين في ذلك الوقت. وكونه معروفاً كبحّار جريء، سُئِل من قِبل (فرنسيس الأول) ملك فرنسا، لتولّي قيادة أسطولٍ من أربعِ سفنٍ ومحاولة العثور على الممر الغربى إلى مملكة كاثاي الغنية. فالفرنسيون أصبحوا غيورين جداً من الإسبان، وشعروا بأن بلادهم يجب أن يكون لها حصة من ثروات العالم الجديد.

أبحر ڤيرازانو من فرنسا مليئاً بالأمل والفرح. لكن لم يذهب سوى مسافة قصيرة، حتى ظهرت حينها عاصفة شديدة، اثنتان من سفنه غابتا عن بصره إلى الأبد. والسفينتان الباقيتان اضطرتا للعودة إلى فرنسا.

بعد بعض التأخير ڤيرازانو بدأ المحاولة مرة أخرى، مع سفينة واحدة تسمى (دوفاين Dauphine). مع هذه السفينة وصل إلى جزيرة (ماديرا Madeira)، ومن هذه الجزيرة أبحر في 17 يناير/ كانون الثاني من العام (1524م)، إلى العالم المجهول. استغرقت الرحلة تسعة وأربعين يوماً، وبعد ذلك الوقت الطويل، شوهد ساحل

منخفض طويل في الأفق. هذا الساحل، والذي ربما كان ولاية كارولينا الشمالية، لا مكان متاحاً فيه للنزول عليه، ولبعض الوقت أبحر ڤيرازانو شمالاً ومن ثم جنوباً، بحثاً عن أحد الأماكن. وباء بحثه بالفشل، وبما أن الطاقم كان في حاجة إلى المياه العذبة، قرر ڤيرازانو إرسال قارب إلى الشاطئ.

لذلك استقلوا قارباً صغير، وحاول البحارة بصعوبة الوصول إلى الشاطئ، ولكن الأمواج كانت عاليةً جداً، بحيث إنهم لم يتمكنوا من القيام بذلك. في النهاية بحّارٌ شجاعٌ واحدٌ قفز من القارب في غمرة هيجان البحر وسَبَحَ نحو الشاطئ. وكان يحمل في إحدى يديه هدية للهنود الذين كانوا يقفون على حافة المياه يراقبون المشهد الغريب. أخيراً، نجح البحار في السباحة على مَقرُبةٍ من الشاطئ بحيث كان قادراً على رمي الهدية إلى الهنود.

ثم تخلت عنه شجاعته، وحاول في رعب أن يسبح إلى سفينته. الأمواج، رغم ذلك، رمت به على الشاطئ الرملي، وكان قد أوشك على الغرق لولا أن خاض بعض

الهنود ينقذون البحار

الهنود في البحر وسحبوه إلى الشاطئ. هؤلاء الهنود قاموا بسرعة بتجريده من جميع ملابسه وبدأوا في إشعال نار كبيرة. ظن البحار المسكين أن نهايته قد حانت، ورفاقه العائدون نَظروا من سفينتِهم في رعب لهذه التحضيراتِ.

كل منهم اعتقد أن الهنود يَنوون أن يحرقوه حياً أو القيام بطبخه وأكله. وبالإضافة إلى إغاثتهم العظيمة، تعامل الهنود مع البحّار بلطفٍ شديدٍ وإكرام. جففوا له ملابسه على النار وأدفأوه.

بدا مظهر هؤلاء الهنود اللطفاء متوحشاً جداً. كانت بَشرتهم نحاسية اللون، طِوال القامة، شعرهم اللّامع رُبط وجُدل في ظفائر، وكانت وجوههم صارمة جداً. لأنه، كما تعلمون، الهندي لا يضحك أو يبتسم.

على الرغم من مظهرهم الشرس، إلا أنهم كانوا طيبين جداً مع الشخص الغريب شّاحب الوجه، وعندما استرجع البَحّار قواه مرة أخرى قاموا بقيادته إلى الشاطئ، وسَبح عائداً إلى سفينته.

كان ڤيرازانو سعيداً لرؤية بحاره عائداً في سلامة من هذه المغامرة الخطرة. وكان البحار قد خاطر بحياته، ولكنه لم يحصل على الماء لأفراد الطاقم. وهكذا انطلق ڤيرازانو باتجاه الشمال، وعلى طول ساحل ولاية (ماريلاند Maryland)، قام بالنزول وتأمين المياه العذبة التي اشتدت الحاجة إليها.

في هذا المكان الذي زاره الفرنسيون كان عندهم فرصة لرد الجميل نظراً للود الذي أظهره الهنود مع رفيقهم، ولكن أنا آسف جداً أن أخبركم بأنهم لم يفعلوا ذلك. فأثناء بحثهم عن الماء، ڤيرازانو وأتباعه أتوا فجأة على صبي هندي ضعيف، واعتقلوه ونقلوه إلى سفينتهم. وجاءت والدة الصبي مسرعة من بين بعض الشجيرات لإنقاذ ابنها، ولكنهم أرادوا الاستيلاء عليها أيضاً، فقامت بالكثير من الضوضاء التي ألزمتهم بالركض كي يهربوا من بقية أفراد القبيلة، الذين جاؤوا مسرعين لمساعدتها. وصل الفرنسيون إلى سفينتهم في أمان مع الصبي الهندي المسكين الضعيف، وسرعان ما أبحروا.

شرع ڤيرازانو بالإبحار باتجاه الشمال، بعد الشاطئ، وأخيراً وصل إلى رقبة ضيقة جداً من الماء، مع ارتفاع الأرض على كلا الجانبين. من خلال هذا المضيق أبحر ڤيرازانو، ولدهشته، خرج إلى خليج واسع وجميل ومحاط من كل جانب بالغابات، وتنتشر هنا وهناك زوارق الهنود الذين كانوا يخرجون من الأرض لمقابلته.

لديك بطبيعة الحال، تخمين أن هذا المضيق كان هو المضيق الذي يفصل جزيرة (ستاتن Staten) عن الجزيرة الطويلة، وهذا الخليج كان هو خليج (نيويورك New York) الجميل.

تتبع ڤيرازانو شاطئ الجزيرة الطويلة إلى جزيرة صغيرة، والتي من المرجح أنها جزيرة (بلوك Block). من هذه الجزيرة أبحر إلى ميناء في البر الرئيسي، وربما ميناء (نيوبورت Newport)، حيث بقي خمسة عشر يوماً. هنا تلقى الهنود زوارهم شاحبي الوجوه بإكرام عظيم وأبهة. اثنان من زعماء الهنود، احتشدوا في جلود الأيل المصبوغة وجلود الراكون والوشق، وزينت بالنحاس والحُلي، وأدى ڤيرازانو زيارة لهذه الدولة.

بعد هذا مباشرة، أبحر ڤيرازانو مرة أخرى في اتجاه الشمال. ازدادت برودة المناخ والمنطقة أصبحت أكثر صعوبة، وتغير الغطاء النباتي. فبدلاً من السرو وأشجار الغار الحلوة المعطرة التي كان البحارة معجبين بها على طول ساحل (كارولينا)، كانت هناك الغابات المظلمة من الصنوبريات المهيبة التي كانت كبيرة ولكنها قاتمة.

المنحدرات الكبيرة من الصخور امتدت على طول الشواطئ، ومن هذه المرتفعات نَظَرَ المواطنون نظرة استصغار إلى السفينةِ الصَغيرةِ الوحيدةِ في خوفٍ وغضبٍ ودهشةٍ. أخيراً، وافقوا على التجارة مع ذوي الوجوه الشاحبة؛ لكنهم أنزلوا حبلاً من فوق الصخور ووضعوا عليه السكاكين، والخطافات، وقطعة من الصلب التي طلبوا في مقابلها الفراء والجلود. وبينما ڤيرازانو وعدد قليل من رجاله حاولوا النزول على الأرض. لكن الهنود قاموا بمهاجمتهم بشراسة بوابلٍ من السهام، وأصوات صيحات الحرب المخيفة؛ تسببت بفرار الأوروبيين إلى سفينتهم طلباً للنجاة منهم.

لذلك تخلى ڤيرازانو عن خطة الإنزال بين هؤلاء الهنود العنيفين، وواصل رحلته البحرية شمالاً وصولاً إلى (نيوفاوندلاند Newfoundland). هنا ازدادت المؤن قِلَّةً، وقرر ڤيرازانو الإبحار عائداً إلى الوطن.

كانت رحلة العودة آمنة، وكان استقبال ڤيرازانو مفرحاً عندما وصل إلى فرنسا. وبناءً على اكتشافاته ارتكزت مطالبة الفرنسيين بكل البلدان في العالم الجديد التي تقع بين كارولينا ونيوفاوندلاند، وتمتد غرباً بقدر امتداد الأرض.

ڤيرازانو تمنَّى كثيراً أن يذهب مرة أخرى إلى هذه الأرض الجديدة، والقيام بمحاولة تأسيس مستعمرة، وتحويل الهنود إلى الديانة المسيحية. لكن فرنسا في هذا الوقت دخلت في حرب أهلية، وفُقِد كل أمل لڤيرازانو. ويقول البعض إنه قام بالرحلة الثانية، وإنه في حين استكشافه للبلاد البرية، سقط أسيراً وقتل على يد قبيلة من الهنود المتوحشين. القصة التي هي الأكثر احتمالاً للصدق أنه لم يرجع إلى العالم الجديد، وأنه في حين كان هناك، سقط أسيراً في يد الإسبان وشُنِق كقرصان.

الرِّحْلَةِ الْبَحْرِيَّةِ الشَّهِيْرَةِ
لِلسِّيْرِ فْرَانْسِيْسِ دْرَايْك - 1577م

السير فرانسيس درايك

تحت حكم الملكة إليزابيث، أصبحت إنجلترا مشهورة ببحّارتها الجَّريئين والجَّسُورين. هؤلاء البحارة في الحقيقة كانوا قراصنة، أو لصوص بحر؛ ولكن حرفتهم كان يُنظر إليها في تلك الأيـام من قبل الجميع على أنها ذات شرعية قانونية، ما عدا الأشخاص الذين قاموا بالسرقة.

وشَجَّعَت الملكة إليزابيث رجال الملاحة البحرية للقيام برحلات إلى العالم الجديد، وأيضاً لمهاجمة السفن الإسبانية، لأنها كانت مستاءةً من طريقة الإسبان التي كانوا يتصرفون بها.

وكان الإسبان قد ازدادو غِنىً وقوة عن طريق الثروات الهائلة التي حصلوا عليها من قارة أمريكا، ونتيجة لاعتزازهم بأنفسهم، فإنهم لم يتعاملوا مع الدول الأخرى بشكل صحيح. لم يكن لديهم فكرة عن العدالة. بل كانوا أنانيين ويريدون كل شيء لإسبانيا.

ويعتقد الشعبُ الإنجليزي أن أفضلَ مكانٍ للهجوم على الإسبان يكون في ذلك العالم الجديد. وكانوا يعرفون جيداً أنهم إذا أمكن أن يقطعوا عليهم إمدادات الذهب والفضة التي كانت الأمة الإسبانية تتلقاها من أمريكا الجنوبية وجزر الهند، فإن هذه الأمة ستعاني الأمَرّين.

السير (فرانسيس درايك Sir Francis Drake)، شابٌ فارسٌ شجاعٌ من بلاط إليزابيث، رَسَمَ خُطَّة لتعليم الإسبان درساً قاسياً. تمت الموافقة على هذه الخطة من قبل الملكة، ووعدت درايك بالمجد والغنى إذا استطاع أن ينجح في تنفيذها.

في نوفمبر/ تشرين الثّاني من العام (1577م)، أبحر درايك من (بليماوث Plymouth)، بإنجلترا، مع أسطول مكوَّن من خمس سفن ومئة وأربعة وستون رجلاً. وأخبر كل شخص أنه ذاهب للقيام برحلة إلى (الإسكندرية Alexandria)، حيث إنه لم يكن يرغب في أن يعرف الإسبان أنه ينوي عبور المحيط الأطلسي.

بعد رحلة لنحو خمسة أشهر، بينما هم كانوا يبحرون بشكلٍ هادئ خلال إحدى الليالي، رأى الطاقم نيراناً غريبة في الأفق. في البداية كان البحارة قلقين. ولكن بعد الإبحار أقرب رأوا أن الحرائق كانت على شاطئ بلدٍ غريبٍ، والتي عرف درايك أنها أمريكا الجنوبية.

وكان الأهالي قد قاموا بنصب هذه المشاعل الهائلة بالقرب من المياه؛ استعداداً لبعض الشعائر الدينية.

هؤلاء المواطنون كانوا ودودين، ودرايك، بعد شرائه بعض اللوازم الجديدة، استأنف الإبحار، لأنه كان على عجل للوصول إلى البيرو. وسرعان ما دخل الأسطول مضيق ماجلان، وأبحر من خلاله دون أي حادثة.

على جزيرة في المضيق عثروا على عدد كبير من الطيور في حجم الإوز، والتي لا يمكنها أن تطير. قتل الطاقم نحو ثلاثة آلاف من هذه الطيور، والآن، أصبح لديهم مقدار وافر من التموين، وبدأوا بالرحلة على طول الساحل الغربي لأمريكا الجنوبية.

الإسبان، لم يتصوروا أن أي أحد لديه الشجاعة الكافية لمحاولة الوصول إلى أراضيهم عن طريق مضيق ماجلان، ولم يقوموا بأي محاولة لتحصين أنفسهم ضد أي هجوم يأتيهم من جهة الجنوب. فهم يخشون من أن أعداءهم قد ينزلون عليهم عن طريق البرزخ، وكانت قواتهم القوية وضعت هناك لمنع أي أحد من العبور. ولكن كل الموانئ الجنوبية كانت قد عُزلت.

لذا أبحر دريك ورجاله على طول الساحل، يتساقطون في مختلف الموانئ، وبكل جرأة يقومون بأخذ كل شيء رأوا له قيمة، ثم يبحرون بسرعة مبتعدين، ويضحكون على المفاجأة التي تركوها وراءهم.

في أحد الأماكن وجد درايك سفينة إسبانية محملة بالغنائم، وعلى استعداد للإبحار إلى إسبانيا. سرعان ما استولى عليها الإنجليز، وتركوا طاقمها على الشاطئ،

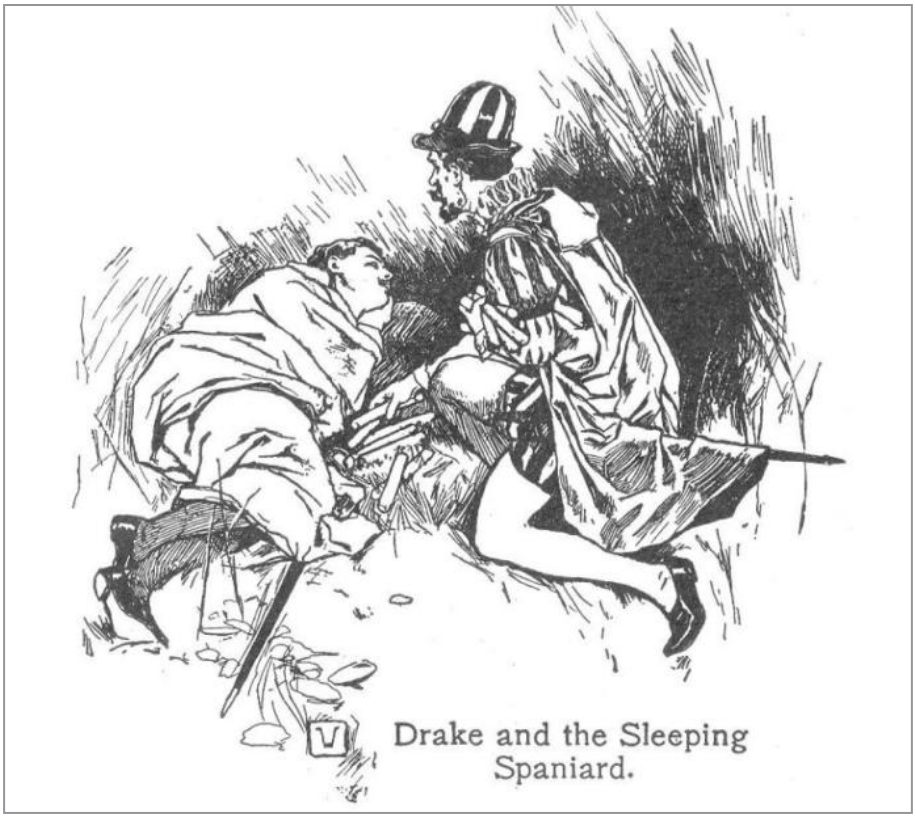

وحملوها إلى البحر. هناك وجدوا أن على متنها ذهباً خالصاً تبلغ قيمته سبعة وثلاثين ألف دوقية إسبانية، ومخازن النبيذ الجيد، والكنوز الأخرى.

في أحد الأماكن حيث هبط درايك بنفسه وجد إسبانياً مستلقياً نائماً بالقرب من الشاطئ، مع ثلاثة عشر قضيباً من الفضة إلى جانبه. أخذ الإنجليز الفضة وذهبوا بهدوءٍ بعيداً، وتركوا الرجل ليُكمل غفوته.

على نحو أبعد التقيا بإسباني وصبي هندي يقودان ثمانية حيوانات من (اللَّاما) ـ كما يطلق على ماشية هذا البلد ـ في طريقهم إلى البيرو. كانت كل واحدة من اللَّاما على ظهرها حقيبتان من الجلد، وفي كل حقيبة كان هناك £50 باون من الفضة. أمر درايك بهذه الفضة أن توضع على سفينته، ثم أبحر مبتعداً.

وتمت زيارة العديد من الأماكن الأخرى بهذه الطريقة، وجُمِعَتِ الكثير من الكنوز. ولكن لم يكد درايك يصل إلى مدينة (ليما Lima)؛ حتى أدرك الإنجليز الثروة الكبيرة لهذا البلد. وكانت هناك حوالي اثني عشر سفينة في الميناء، بعضها محملة بالكامل، وجميعها من دون حماية، فالإسبان لم يتصوروا أبداً أن يتعرضوا لهجوم. هذه السفن شرع درايك في تفريغ حمولتها عن طريق نقلها لسفنه الخاصة.

ثم قام بمطاردة سفينة أخرى، والتي سمع بأنها ماتزال محملة بكنزٍ أكبر. وسرعان ما وجد هذه السفينة، وفعلاً كانت حمولتها قيمة للغاية. ثلاثة عشر صندوقاً من المعدن النفيس، والعديد من أطنان الذهب والفضة والمجوهرات، والأحجار الكريمة، وكميات من الحرير والكتان.

وكما قد نتصور، بعد مواصلة هذا العمل لبعض الوقت، تم تحميل سفن درايك بشكل جيد للغاية، وإنه ورفاقه بدأوا يفكرون في العودة إلى إنجلترا. شعر درايك بأنه لن يكون آمناً للعودة عبر مضيق ماجلان، فقد كان يعرف أن الإسبان سوف يوقعون به. لذلك قرر أن يبحر عبر المحيط الهادئ إلى جزر الملوك، واستكمال رحلته بالدوران حول الأرض.

وكان في هذا الوقت قد أوقف سفنه لقلة الرياح في المنطقة المدارية، وبالتالي وجه سفنه شمالاً، على أمل العثور على الرياح التجارية، والتي من شأنها أن تحمله عبر المحيط الهادئ. بعد الشروع شمالاً على طول ساحل غريب لمدة شهر تقريباً، وهي الفترة التي أصبح فيها الطقس أبرد وأبرد بشكلٍ تدريجي، قرر درايك دخول ميناءٍ وإرساءِ سفنه.

أهل البلاد كانوا ودودين معهم، وبما أن الإنجليز يعاملونهم بشكل جيد، فإنهم ظلوا كذلك. واحترموا السير الشجاع فرانسيس درايك كثيراً، كما أنهم طلبوا منه البقاء معهم وأن يكون ملكاً عليهم.

ولكن درايك ليس لديه رغبة في أن يكون ملكاً على قبيلة هندية. إنه يريد العودة إلى ملكته الطيبة إليزابيث، وأن يخبرها عن جميع الأشياء الرائعة التي حدثت معه. لذا أخذ ملكية هذا البلد لإنجلترا، وأطلق عليه اسم: (ألبيون الجديدة Albion New).

كانت ألبيون الجديدة هي الأرض التي تُعرف في الوقت الحاضر باسم: ولاية (كاليفورنيا California)، والخليج الذي رسى فيه درايك هو بالضبط خليج شمال (سان فرانسيسكو San Francisco).

ثم أعَدَّ درايك سفنه من أجل رحلة العودة إلى الوطن، رفع المرساة، وسرعان ما أبحر مبتعداً في اتجاه جزر الملوك. هذه الجزر وصلها بعد رحلة طويلة، وبعد زيارة عدد من جزر الهند توجه عبر المحيط الهندي إلى رأس الرجاء الصالح ومنه شمالاً إلى إنجلترا. وصل الوطن في سبتمبر/ أيلول من العام (1580م)، بعد غيابٍ دام ثلاث سنوات.

وكم كانت الملكة إليزابيث مسرورة لرؤيته! منحته شرف لقب الفروسية، وأظهرت بطرق أخرى اعتزازها بشجاعة رعاياها.

سفينة درايك، (الوعلة الذهبية)، وُضِعَت في حوض السفن في (ديبتفورد Deptford)، حيث بقيت لسنوات عدة. اعتاد الناس على أخذ أطفالهم لرؤيتها، وكانوا

يخبرونهم عن الوعلة الذهبية، السفينة الجيدة التي أبحر فيها الجنرال الشجاع السير فرانسيس درايك، عندما كان يلقن الإسبان درساً.

عندما بدأ خشبُ السفينةِ في الفساد، صُنِعَ من بقاياه كُرسي وقُدِّم لجامعة أكسفورد، حيث يمكن مشاهدته هناك حتى يومنا هذا.

هِنْـرِي هِدْسُـون

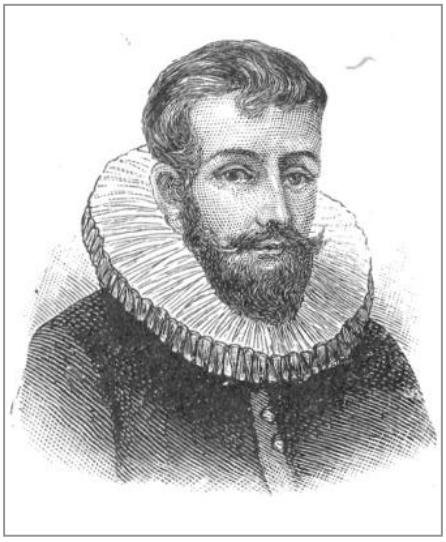

هنري هدسون

كـان (هـنـري هـدسـون Henry Hudson) واحداً من أفضل ربابنة السفن في إنجلترا كلها. كان يحب المحيط، ولم يكن يعرف كلمة «خوف».

في العام (1607م) شركة من تجار لندن؛ أرسلته للبحث عن الممر الشمالي الغربي إلـى الصين. هؤلاء التجار عرفوا بأن مثل هذا الممر ـ إن أمكن العثور عليه ـ فإن الرحلة إلى الصين ستكون أقصر بكثير عندئذٍ؛ من تلك التي تستخدم في الطريق البري. إن الأمر سيستغرق وقتاً أقل؛ إذا ما تم الإبحار حول الأرض بالقرب من القطب بدلاً من الإبحار حول الأرض بالقرب من خط الاستواء. إلى جانب ذلك، كان كل الذين حاولوا الوصول إلى الصين بالإبحار غرباً، قد وصلوا بدلاً من ذلك، إلى ذلك الساحلِ الطويلِ للعالم الجديد، الذي تم من خلاله العثور على المنفذ الوحيد. وكان الطريق من خلال هذا المنفذ، وهو مضيق ماجلان، الذي أثبت من قبل مكتشفه فرديناند ماجلان، وهو يعتبر طويلاً جداً لاستخدامه في التجارة، لذلك حاول هؤلاء التجار بكُل جُهْدٍ العثور على الممر الشمالي الغربي.

شرع الكابتن هدسون بالانطلاق في الاتجاه الشمالي الغربي من إنجلترا، وحاول المرور بين (غرينلاند Greenland) و (سبيتزبيرجين Spitzbergen) والإبحار عبر القطب الشمالي إلى المحيط الهادئ. وفشل في هذه المحاولة، وقام برحلة ثانية، حيث حاول المرور بين (سبيتزبيرجين) و (نوفا زيمبلا Zembla Nova). وهذه الرحلة أيضاً كانت فاشلة، وعاد هدسون إلى إنجلترا. ولم يجد الممر الشمالي الغربي، ولكن كان قد أبحر ماراً بجبال من الثلوج والجليد، وكان أقرب إلى القطب الشمالي من أي رجل آخر في أي وقت مضى.

لم تثبط حالتان من الفشل؛ من عزيمة الكابتن هدسون. إنه مازال يعتقد أنه يمكنه العثور على الممر الشمالي الغربي، وعندما طلب منه الشعب الهولندي القيام برحلة لهم بحثاً عن ممر إلى المحيط الهادئ، كان على استعداد تام لقبول العرض.

في العام (1609م) أبحر هدسون من (أمستردام Amsterdam) في مركبٍ صغيرٍ من ثمانين طُنّاً، المسمى بـــ(الهِلال). وبعد الإبحار لعدة أيام من خلال الضَّباب والجليد، رفض البحارة الاستمرار بالابتعاد في ذلك الاتجاه، وبعد ذلك وجه هدسون سفينته عبر المحيط الأطلسي تجاه أمريكا. قد تعتقد أنه من الغريب أن هدسون يقوم بتغيير خططه بسرعة، لكنه عرف ما كان عليه فعله. وكان قد تلقى رسالة من صديقه الكابتن جون سميث، الذي كان آنذاك في (فرجينيا)، يخبره فيها أن الممر الشمالي الغربي كان يمكنه العثور عليه على طول ساحل أمريكا الشمالية، شمال خليج (تشيسابيك Chesapeake). هذه الرسالة وضعها هدسون في اعتباره عندما بدأ في رحلته.

وصل خليج تشيسابيك، لكنه لم يدخله، لأن الطقس كان عاصفاً. بدلاً من ذلك، مضى على الساحل، وبحث عن أية ثغرة. وأخيراً، في سبتمبر، دخل على خليج جميل. في هذا الخليج تدفق نهر واسع، والذي اعتقد هدسون أنه قد يكون المضيق الذي من شأنه أن يؤدي إلى المحيط الهادئ. كان الماء في هذا الثغر مالحاً، وهذا عزز من اعتقاد هدسون أنه كان هو المضيق الذي بحث عنه وقتاً طويلاً. عند مصب النهر كانت هناك جزيرة جميلة، طويلة وضيقة، وتمتد أشجارها إلى الشاطئ.

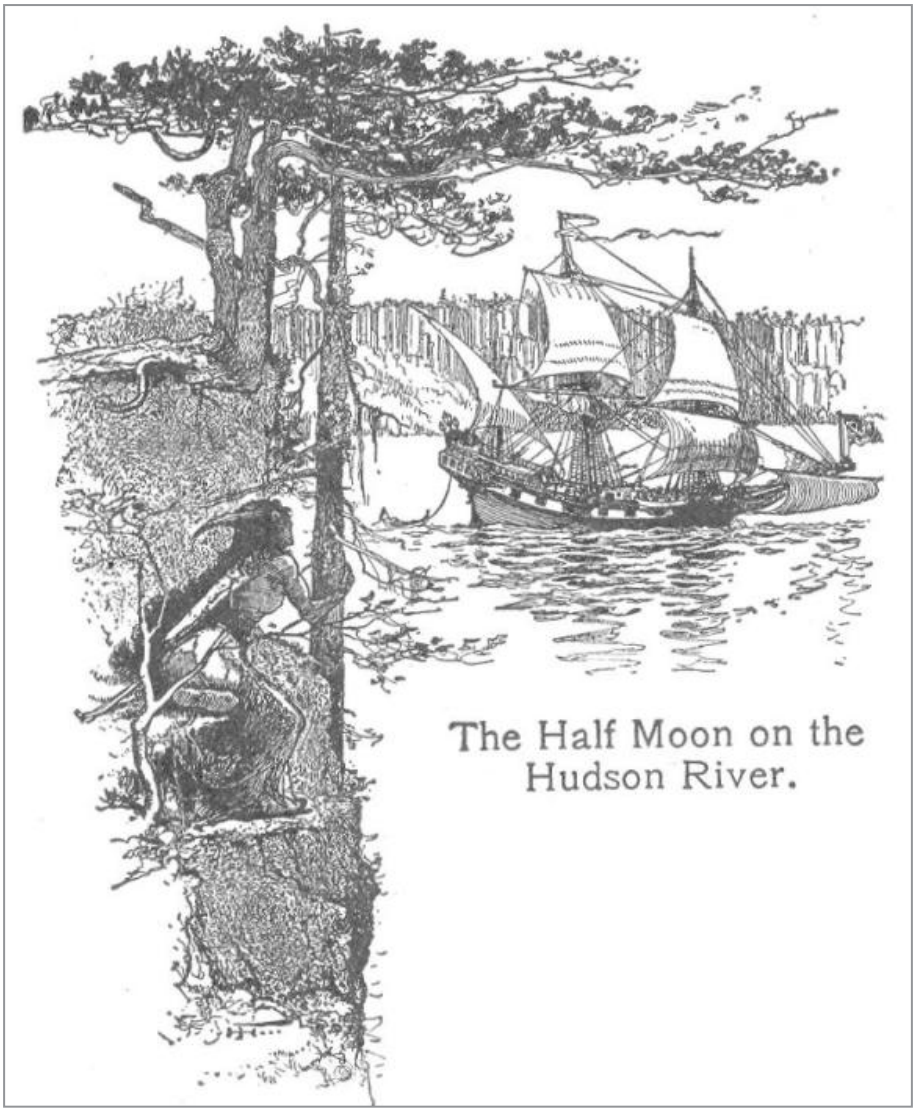

في البداية بدت الجزيرة مهجورة، ولكن سرعان ما رأى البحارة هنا وهناك أعمدة رفيعة من الدخان تتصاعد من بين الأشجار. وأظهر هذا الدخان لهم أن الجزيرة مأهولة، وللتو ظهر هندي على الشاطئ.

هذا الهندي حَدَّقَ في السفينةِ للحظة في دهشة، وبعد ذلك، صرخ صرخة الحرب، اتجه عائداً إلى الغابةِ. وفي بضعة دقائق ظَهَرَ ثانيةً، جالباً هنوداً آخرينَ مَعه.

كُلُّهم كَانوا مندهشين مِنْ رؤية السفينةِ الغريبةِ، وحَدَّقوا فيها في تعجبٍ وخوفٍ؛ وفي الغرباءِ المتلحين بيض الوجوه. وشيئاً فشيئاً، على أيةِ حالٍ، فَقَدُوا خَوفَهم وتكلّموا مَع الكابتن هدسون. هؤلاء الهنود أخبروا هدسون بأنّ اسم هذه الجزيرةِ الجميلةِ كَانَ (مانهاتن Manhattan)، وذلك النهر يقودك بعيداً، بعيداً إلى الشمالِ.

لذا دخل هدسون النهر وأبحَر ببطءٍ شمالاً، وتمتَّعَ بالمنظرِ السَّاحِرِ، وتوقف في بعض الأحيان للمُتَاجَرَةِ والتَّحَدُّثِ مع الهنود.

أبحرَ لمسافة عشرين ميلاً على طول حائطٍ عظيمٍ مِن الصخور على ارتفاع حوالي خمسمائة قدم، والذي نَعْرفُه الآن باسم الحسائك. هذا الاسمِ أُعْطِي إلى الحائطِ الصخريِ لأنه يَبْدُو مثل الحسيكة، أَو كسياجٍ عالٍ من الأوتاد قد وُضِعت سويةً وعمودياً في الأرض.

بعد ذلك سرعان ما أصبح النهر متعرجاً جداً، والجبال العالية ظَهرتْ على كُلّ الجوانب. دَخلَ مركب الهلال المرتفعات الجميلة الآن، وطاقمه كانوا الرجال البيض الأوائل الذين رأوا هذه البقعة الساحرة. السفينة استمرت بالإبحار، وبالتفصيل جاءت إلى المكانِ الذي تقع عليه مدينة (هدسون Hudson) الآن. هنا دَعا زعيم هندي القائد للنزول على اليابسة. فعل هدسون ذلك، والهنود جهزوا وليمة عظيمة على شرفِه.

قدموا له الحمام المشوي وكلباً مشوي ليأكله. لَم يحب هدسون لحم الكلب كثيراً، لكن الهنود أصرّوا على طبخه له.

الهنود أرادوا من هدسون أَنْ يَبْقى معهم ليلة إضافية، ونهض أحد الهنود، وجمع كُلّ الأسهم، وقام بكَسرها ورَميها في النارِ. بهذا الفعلِ أراد أن يُظهر لهدسون بأَنَّه هو وقبيلته لا يرغبون في أذيتهم.

شَعرَ هدسون بأَنَّه لم يكن عِنْدَهُ وقت ليضيعه، لكن يَجِبُ أَنْ يَستمرَّ ويَكتشفَ ما إذا كان هذا الجسم الرائع من الماءِ سيقوده نحو المحيط الهادئ. لذا قام بتوديع الهنود وأبحرَ بعيداً.

ومضى على النهر حتى وصل إلى المكان الذي تقف عليه مدينة (ألباني

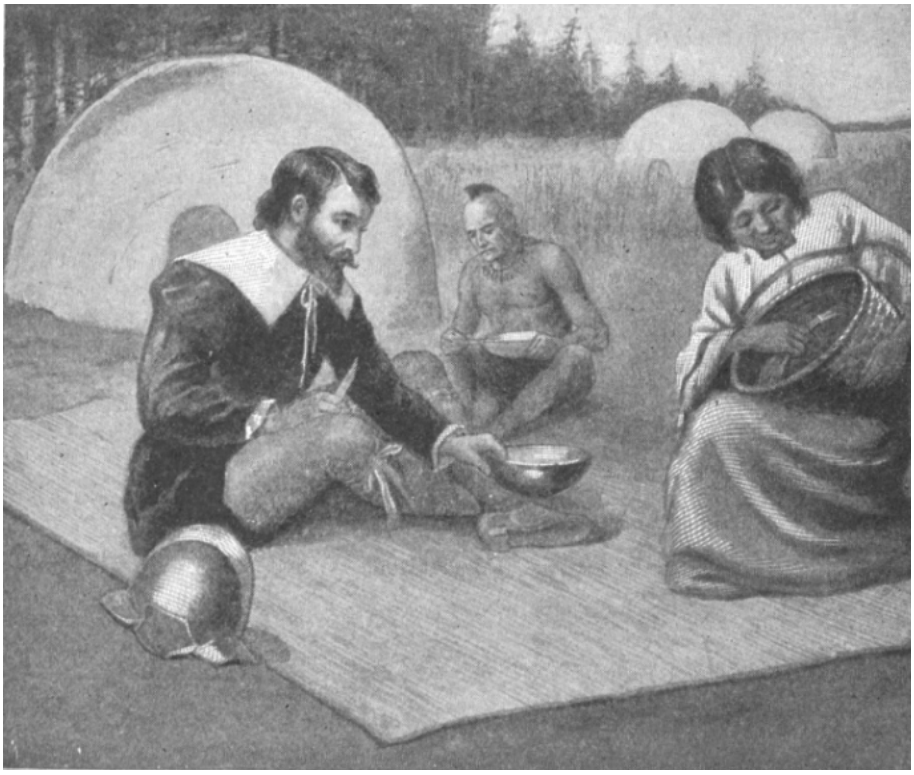

هدسون يحتفل مع الهنود

Albany) الآن. هنا رسى مركب الهلال قليلاً. وجاء الهنود يهرولون إلى الشاطئ في تعجب لرؤيتهم للسفينة الغريبة. أحضروا معهم سلاسل من جلود السمور، وهو ما أعطى هدسون في مقابله قطعة من الدانتيل المطرزة بالذهب، وقطعاً من الخرز الزجاجية، وغيرها من الحُلي. كان هدسون قد عرف سريعاً أهمية تجارة الفراء، وأخذ معه الكثير من الفراء الثمين. هنا أصبح النهر ضيقاً، وكان ضحلاً جداً بحيث خشي القائد من أن تجنح سفينته. في النهاية عرف أن هذا الماء كان نهراً وليس المضيق، وأنه ليس من المرجح أن يجد هنا ممراً إلى الصين. لذا فإن هدسون، عاد إلى الوراء، إلى أسفل النهر.

في طريق العودة، هندي كان في زورقٍ؛ سرق شيئاً من السفينة. رأى أحد أفراد الطاقم الهندي وهو يقوم بالسرقة، فحمل السلاح وأطلق النار وقتله. هذا جعل الهنود

الآخرين غاضبين جداً، وخاض هدسون عدة معارك معهم.

ومع ذلك وصلت البعثة لمصب النهر في أمان، وفي مطلع أكتوبر/ تشرين الأول، عاد هدسون إلى (أمستردام Amsterdam). وقال إنه لا يمكن العثور على ممر في اتجاه الشمال الغربي، لكنه كان قد حصل على قطعة أرض كبيرة من البلاد في العالم الجديد لصالح هولندا.

وأخبر الهولنديون عن الفراء الثمين الذي يوجد هناك، وبدأوا على الفور ببناء مراكز تجارية حيث تقع مدينتا نيويورك وألباني الآن.

وفي العام التالي قام هدسون برحلة أخرى بحثاً عن ممر إلى آسيا. هذه المرة أبحر إلى أقصى الشمال، إلى خليج هدسون. هنا طاقمه تمردوا ورفضوا طاعته. وقبضوا عليه ووضعوه، جنباً إلى جنب مع ابنه، في زورق مفتوح، وتركوه عائماً على غير هُدَىً في المياه الجليدية.

وبما أن هدسون لم يُسمع عنه مرة أخرى، فمن المفترض أنه لقي حتفه في مياه الخليج العظيم الذي اكتشفه، والذي لايزال يحمل اسمه.

فهرس الأعلام

(أ)

آل بولو: 23، 24.

اليزابيث (الملكة): 101، 102، 105.

أوريلّانا، فرانسيسكو: 92 ـ 94.

ايرك الأحمر: 18.

ايزابلّا (الملكة): 31، 33، 35، 38 ـ 40، 81.

(ب)

بالبوا، فاسكونونيز: 59 ـ 62، 75.

براندون (قديس): 19.

بيزارو، جونزالو: 92.

بيزارو، فرانسيسكو: 75 ـ 79، 81، 92، 93.

بينسون، يانيز: 87 ـ 92.

(ج)

جون (الأمير): 31، 42.

(د)

درايك، فرانسيس: 101 ـ 105.

دياز، بارثولوميو: 42.

دي سوتو، فيرديناند: 76، 81 ـ 86.

دي جاما، فاسكو: 41، 44، 45.

دي ليون، بونسي: 57، 58.

دييغو (بحار): 31، 32.

(س)

سميث، جون: 108.

(ش)

شارل الخامس: 73، 76، 78.

شو، ادوارد ريتشارد: 7، 10.

(غ)

غواتيموتزين: 72، 73.

(ف)

فرديناند (الملك): 31 ـ 33، 35، 38، 40.

فرنسيس الأول: 95.

فيرازانو: 95 ـ 99.

فسبوتشي، امريكو: 51 ـ 55.

(ق)

قوبلاي خان: 23.

(ك)

كابرال (ملاح): 91 ـ 92.
كابوت، جون: 47 ـ 49.
كابوت، سيباستيان: 45، 47 ـ 49.
كورتيس، هيرناندو: 67 ـ 73.
كولومبوس: 21، 29 ـ 42، 45، 47، 48، 51، 55، 66، 87، 88، 91، 92.

(ل)

ليف (بحار): 18، 19.

(م)

ماجلان، فرديناند: 63 ـ 66، 107.
ماركوبولو: 21 ـ 26، 39، 59.
مونتيزوما (الامبراطور): 68، 70 ـ 72.

(هـ)

هدسون، هنري: 107، 108، 110 ـ 112.
هنري (الأمير): 17، 30.
هنري السابع: 47، 48، 49.

فهرس الأماكن

(أ)

إسبانيا: 31، 32، 35، 37، 39 ـ 41، 53، 55، 58، 61، 63، 66، 73، 78، 87، 91، 94، 101، 103.

الإسكندرية: 102.

آسيا: 15، 23، 26، 39، 47 ـ 49، 55، 112.

إشبيلية: 40.

افريقيا: 9، 15، 45، 54، 92.

ألباني: 110، 112.

البيون الجديدة: 105.

الإلدارادو: 94.

أمريكا: 36، 39، 42، 48، 55، 91، 92، 101، 108.

أمريكا الجنوبية: 48، 53، 66، 79، 88، 91، 94، 102.

أمريكا الشمالية: 19، 45، 108.

أمريكا الوسطى: 67.

أمستردام: 108، 112.

إنجلترا: 47 ـ 49، 101، 102، 104، 105، 107، 108.

الأنديز = جبال الأنديز.

آيسلند: 18، 30، 47، 49.

(ب)

باتاغونيا: 64.

بالوس (ميناء): 33، 34، 37، 88، 91.

البحر الأبيض المتوسط: 16، 24، 30.

البحر الجنوبي: 61.

بحر الظلمات: 9، 16، 27.

البحر الكاريبي: 38.

البرازيل: 39، 53 ـ 55.

البرتغال: 19، 29 ـ 31، 42، 44، 45، 54، 63، 92.

برشلونة: 38.

بريستول: 47 ـ 49.

بليماوث: 102.

البندقية: 21 ـ 24.

بورتوريكو: 38، 39، 57، 58.

بيرنامبوكو: 64.

البيرو: 81، 92، 94. 102، 104.

بيلبورت: 7.

(ت)

تبريز: 23، 24.

(ج)

جامايكا: 38.
جامعة بافيا: 30.
جبال الأنديز: 92، 93.
جزر آزور: 92.
جزر البهاما: 36، 58، 91.
جزر الكناري: 19، 34، 63، 88.
جزر لادروني = جزيرة اللصوص: 66.
جزر ماديرا: 91، 95.
جزر الملوك: 104، 105.
جزيرة بلوك: 98.
جزيرة ترينيداد: 39.
جزيرة ستاتن: 98.
جزيرة كوبا: 37.
جزيرة كوشين: 24.
جنوة: 24.
جوبي: 23.
جورجيا: 53، 54.

(خ)

خليج تامبا: 82.
خليج تشيسابيك: 108.
خليج سانت لورانس: 48.
الخليج العربي: 24.
خليج المكسيك: 52.
خليج هدسون: 112.
خليج نيويورك: 98.

(د)

دارين: 59، 61.
ديبتفورد: 105.
ديرسدن: 12.
دير لارابيدا: 32.

(ر)

الرأس الأخضر: 53، 88.
رأس الرجاء الصالح: 42، 44، 66، 105.

(س)

سان خوان دي أولوا: 68.
سان دومينغو: 40.
سان سلفادور: 36.
سان فرانسيسكو: 105.
سانت جوليان: 64.
سانت روكي: 53.
سبيتزبيرجن: 108.
سوفولك: 7.
سيبانغو: 26.
سيراليون: 63.
سيفيللي: 7.

(ص)

الصين: 16، 23، 24، 107، 111.

(غ)

غرينبورت: 7.
غرينلاند: 18، 19، 108.
غينيا: 30، 92.

(ف)

فارس: 23، 24.
فالدوليد: 40
فاينلاند: 18.
فرجينيا: 108.
فرنسا: 95، 99.
الفلبين: 66.
فلورنسا: 95.
فلوريدا: 52، 58، 81، 82.
فيرا كروز: 68.
فينيسيا: 21، 22، 24، 52.

(ق)

القسطنطينية: 16، 23، 41.

(ك)

كاثاي: 26، 45، 95.
كاجاماركا: 75.
كارولينا: 98، 99.
كارولينا الشمالية: 96.
كاليفورنيا: 105.
كلية لافاييت: 7.
كوبا: 40، 58، 59، 68، 81، 82.
كويتو: 92.

(ل)

لابرادور: 48.
لشبونة: 17، 30، 42، 44، 53.
لندن: 107.
لونغ آيلاند: 7.
ليما: 104.

(م)

ماريلاند: 49، 97.
المحيط الأطلسي: 9، 16، 65، 88، 92، 102، 108.
المحيط الغربي: 87.
المحيط القطبي: 54.
المحيط الهادئ: 61، 65، 104، 105، 108، 110.
المحيط الهندي: 24، 40، 42، 44، 63، 66، 105.
مضيق البوسفور: 24.
مضيق ماجلان: 65، 102ـ104، 107.
المكسيك: 68، 69، 72، 86.
ممفيس: 84.

(ن)

نهر الأمازون: 87، 89، 91 ـ 94.
نهر أورينوكو: 90، 91.
نهر سافانا: 82.
نهر الكونغو: 92.
نهر ميسيسيبي: 84 ـ 86.
نهر نابو: 93.
نوفا زيمبلا: 108.
نوفا سكوتيا: 48.
نيوبورت (ميناء): 98.
نيوفاوندلاند: 99.
نيويورك: 7، 112.

(هـ)

هافانا: 40.

هاييتي: 37 ـ 91.

هدسون (مدينة): 110.

الهند: 16، 17، 19، 26، 29، 37، 40 ـ 42، 44، 45، 47، 49، 102، 105.

الهند الصينية: 26.

هندوراس: 40، 52.

هندوستان: 26، 44.

هولندا: 112.

هيسبانيولا: 37، 39، 40، 59، 67، 91.

(و)

الولايات المتحدة: 40.

(ي)

يوكاتان: 52.

نبذة عن المترجم

* **حسين حمد حسين الفقيه**

باحث ومترجم ليبي حاصل على بكالوريوس في التاريخ وماجستير في التاريخ الإسلامي.

* عضو هيئة التدريس بجامعة محمد بن علي السنوسي الإسلامية، كلية التاريخ والآثار.
* شارك في العديد من الأبحاث التاريخية، منها: «الشطار والعيارون في الدولة العباسية»، «إسهامات الجراحين المسلمين في علم الجراحة الحربية»، «انتقال إقليم قورينائية من السيطرة البيزنطية إلى الحكم الإسلامي».
* حاصل على وسام «باحث مبادر» من منصة (أريد) العلمية، عن مجموعة من البحوث والمشاركات.

DISCOVERERS AND EXPLORERS

BY

EDWARD R. SHAW

Dean of the School of Pedagogy

New York University

NEW YORK :: CINCINNATI :: CHICAGO

AMERICAN BOOK COMPANY

Copyright 1900

By EDWARD R. SHAW.